الصيغة السردية

لاحظنا في الفصل السابق هيمنة الصيغتين الرئيسيتين (المشهد الحواري والموجز) وبروزَ خصائصهما في زمنية السرد القصصي القرآني. وكلامنا هنا سينبني على الكلام هناك؛ لأن التمييز بين هاتين الصيغتين- أولا- لا يتأتى إلا من خلال التمييز بين زمن القصة وزمن الحكاية- وثانيا- لأن البحث في الصيغة يقوم أساسا على هذا التمييز بين الخطابين: المسرود والمعروض، أو الموجز والمشهد الحواري.

منذ جمهورية أفلاطون، ومن بعده أرسطو في كتابه " فن الشعر " ولدى حديثه عن طرق المحاكاة، نجد التفريق بين طريقتين لنقل الكلام:

الأولى- الحكاية الخالصة، حيث يكون الشاعر نفسه هو المتكلم، من غير أن يحاول الإيحاء بأن أحدًا آخر هو الذي يتكلم.

والأخرى- المحاكاة (التقليد) حيث يبذل الشاعر جهدا ليحملنا على الاعتقاد بأنه ليس هو المتكلم، وإنما شخصية ما. فالمحاكاة من ثم تحيل على النقل غير المباشر للكلام[1].

ومع نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين يعود الحديث مرة أخرى عن الحكاية الخالصة والمحاكاة، ولكن تحت أسماء أخرى: كالتعبير (Telling) والعرض (Showing) مع هنري جيمس Henry James وأتباعه، حيث دعا هنري جيمس إلى توجيه الاهتمام نحو عرض الحدث، أو مسرحته، لا إلى سرده؛ فعلى القصة أن تحكي نفسها بنفسها. أو كما يقول بيرسي لُبَوك: إن على الكاتب أن يتجه نحو الدراما فيأخذ له موضعا وراء المحدث، تاركا الشخصيات تعبر عن نفسها بتلقائية، بعيدا عن تدخله المباشر بأفكاره الخاصة[٢].

ولدى الشكليين الروس، نجد كذلك هذا التمييز، ولكن، كما نرى عند توماشفسكي تحت اسم: السرد الموضوعي (Objectif) والسرد الذاتي (Subjectif) في الحالة الأولى نجد الراوي المحايد، الذي لا يتدخل في سير الأحداث، وإنما يصفها فحسب كما يراها، تاركا الحرية للقارئ في تفسير ما يُحكى له. بينما في السرد الذاتي تُقدم الأحداث من خلال ذات الراوي، فتأتي مشبعة بأفكاره التي يحاول أن يفرضها على القارئ، ويحمله على الاعتقاد بها[٣].

وحتى لا يأخذنا الحديث عن تاريخ الصيغة السردية، وهو تاريخ طويل، متشعب، تتداخل فيه اختصاصات مختلفة. فإننا نعود إلى

obeikandl.com

تحديد مجال البحث الذي ينطلق أساسا من الأدبية (الشعرية) الحديثة، كما رأيناها عند أصحاب مجلة Communication مثل تودوروف Todorov الذي يرى أن مقولة الصيغة، ويسميها: سجلات الكلام[4] (Registres de la parole) تتعلق بطريقة الراوي في عرض المحكي وتقديمه. فنحن بواسطة الكلمات نستحضر كونا مصنوعا من الكلمات، وآخر مصنوعا من النشاطات غير اللفظية، وهذا لا يطرأ عليه تنوع في الصيغة، إنما تنويعات تاريخية تُنتج، بنجاح متفاوت وحسب مواضعات العصر، وهم الواقعية. وبعكس ذلك فإن لقص الكلام أنواعا متعددة؛ لأن الكلام يمكن أن يأتي بهيئات متغايرة، متفاوتة الأهمية. ومن ثم يعرض لاقتراح جنت Genette الذي يميز فيه بين درجات ثلاث من الإقحام: الأسلوب المباشر، وفيه لا تطرأ على الخطاب أية تعديلات، والأسلوب غير المباشر أو " الخطاب المحكي " حيث نحافظ على مضمون الرسالة التي افتُرض التلفظ بها، ولكن بإدماجه نحويا في قصة الراوي، كأن نختصر أو نحذف الانطباعات العاطفية. والدرجة الأخيرة من تغيير كلام الشخصية هي: الخطاب المروي، ويُكتفَى فيه بتسجيل مضمون عملية الكلام دون الاحتفاظ بأي عنصر منه[5].

وفي مقال سابق كان تودوروف Todorov يرى أن هناك نمطين رئيسيين من أنماط السرد، هما: التمثيل (التقديم- أو العرض) (représentation) والقص (narration)، يقول تودوروف: " يمكن أن نفترض أن هاتين الصيغتين في السرد المعاصر تأتيان من مصدرين مختلفين: الإخبار (la chronique) والدراما (le drame) والإخبار أو التأريخ، حسب ما نعتقد، حكي خالص، حيث يكون المؤلف مجرد شاهد ينقل الوقائع، والشخصيات الروائية لا صوت لها، والقواعد المتبعة هي قواعد الجنس التاريخي. وعلى العكس من ذلك، ففي الدراما لا تنقل القصة خبرا؛ فهي تجرى أمام أعيننا... فليس هناك سرد، والحكي مضمّن في حوار الشخصيات الروائية "[٦].

أما جنت Genette فيقارب الصيغة السردية، معتمدا على تعريف ليتريه Littré وهو يحدد المعنى النحوي لمادة (mode) بأنها " اسم يعطى لأشكال الفعل المختلفة المستخدمة لتأكيد الشيء المقصود، وللتعبير عن وجهات النظر المتغايرة "[٧] فيرى أن هذا التعريف شديد الأهمية، إذ إننا نستطيع أن نروي كثيرا أو قليلا مما يُروى، وأن نرويه من وجهة النظر هذه أو تلك، وهذه القدرة وأشكال ممارستها، هي التي تشير إليها مقولة الصيغة السردية التي يقترحها[٧]. ومن ثم

فالمسافة التي يكون عليها فعل القص (Le récit) من القصة (L'histoire) التي يتضلع بوصفها، وكذلك المنظور أو وجهة النظر التي يتبناها هما- يقول جنت Genette- الشكلان الأساسيان لذلك التنظيم الذي يتشكل فيه الخبر السردي، ويسمى الصيغة[٨].

بعد ذلك يتحدث عن حكاية الأحداث، وأنها مهما تكن صيغتها فهي دائما حكاية، أو نقل لغير اللفظي إلى ما هو لفظي، ثم حكاية الأقوال التي يميز فيها بين حالات ثلاث من خطاب الشخصية تبعا للمسافة السردية:

١- الخطاب المسرود، أو المروى (Le discours narrativisé) وهو الحالة الأبعد مسافة والأكثر اختزالا. وفيه يختفي تماما كل صوت ماعدا صوت الراوي، الذي يسرد الأحداث وأقوال الشخصيات، سواء بسواء، بلغته هو، فلا يعود من كلام الشخصيات غير أثر ضعيف، ربما يُرجع إليهم لكنه لا يعبر عنهم.

٢- الخطاب المحول (Le discours transposé) أو الأسلوب غير المباشر (Le Style indirect) وهو خطاب أكثر محاكاة من الخطاب المروي، يكون فيه حضور السارد شديد الوضوح، ويتداخل فيه

صوته مع أصوات الشخصيات، وربما تتماهى لذلك وجهتي النظر، تلك الخاصة بالسارد والأخرى الخاصة بالشخصيات، حتى لا نستطيع أن نضع فاصلا بينهما لنقول إن هذا للراوي وذاك للشخصية؛ مما يمنع الخطاب أن يفرض نفسه باستقلال وثائقي يتوفر أكثر في الاستشهاد؛ فالسارد هاهنا لا يكتفي بنقل الأقوال، وإنما يدمجها في خطابه الخاص، ويؤديها بأسلوبه.

٣- الخطاب المنقول (Le discours rapporté) وهو أكثر الأشكال محاكاة، وفيه يتظاهر السارد بإعطاء الكلمة حرفيا لشخصياته. والعجب أن واحدة من أكبر طرق تحرر الرواية الحديثة قد قامت على دفع محاكاة الخطاب هذه إلى أقصى مداها، بل إلى منتهاها، وهي تمحو آخر آثار المقام السردي معطية الكلمة منذ البدء للشخصية السردية[٩].

وربما أضاف بعضهم، إلى هذه الحالات الثلاث، حالات أخرى من خطاب الشخصية، منها: الأسلوب غير المباشر الحر (Le Style indirect libre) وهو ليس إلا تنويع على الخطاب المحول. والخطاب المباشر أو الاستشهاد النصي بخطاب الشخصية (Le discours immédiat) وفيه يمحي الراوي، وتحل محله الشخصية[١٠]، وهناك

أيضا الخطاب المباشر الحر وهو، فيما تقول شلوميت كنعان، الشكل النموذجي لضمير المتكلم في المونولوج الداخلي[11].

ولكننا في دراستنا لطرائق القول في القصص القرآني، لن نكون بحاجة لكل هذه الحالات؛ لأن التنوع في الصيغ- كما سنرى- ليس كبيرا، ويمكن حصره في الحالات الثلاث التي عرض لها جنت Genette في حديثه عن حكاية الأقوال، الذي يمكن أن نضمنه- دون أي خوف من خطر الوقوع في اللبس- حكي الأحداث، الذي يأتي بصيغة الخطاب المسرود، وبذلك يقع ضمن الحالة الأولى التي تحدث عنها (صيغة الخطاب المسرود) وفيها يوجز المتكلم أقوال الشخصيات، كما يسرد أي حدث، فلا يكون هناك أي علاقة بين كلامه وما تنطق به الشخصيات، اللهم إلا مرجعية تكاد تكون مبهمة لمحتوى كلام تلك الشخصيات. وإذا كانت الحالة الأولى تشمل حكي الأحداث والأقوال، فإن الحالة الثانية (صيغة الخطاب المعروض) تختص بحكي الأقوال فحسب، وتأتي في أشكال مختلفة، منها: صيغة الخطاب المنقول المباشر، وفيه نجد نص حوار الشخصيات كما جرى في الواقع، لكن ينقله متكلم خارجي (غير شخصيات الحوار) مع الإشارة بوضوح إلى أن الكلام لتلك الشخصيات؛ وصيغة الخطاب المنقول غير المباشر، وفيها

ينقل المتكلم حوار الشخصيات دون الإشارة إلى ذلك، وأخيرا صيغة الخطاب المعروض غير المباشر، حين يتداخل الخطاب المسرود والخطاب المعروض تداخلا يصعب الفصل فيه بين الصيغتين.

قصص آدم عليه السلام

أ- في سورة ص

﴿ قل هو نبأ عظيم (٦٧) أنتم عنه معرضون (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) ﴾ يبدأ القص بصيغة المعروض غير المباشر في تداخل صيغي، يجمع بين المسرود والمعروض في صيغة موحدة، حيث يبدأ الخطاب بصيغة المسرود الموجه مباشرة من القائل عز وجل إلى محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ قل هو نبأ عظيم ﴾ ثم تتحول الصيغة ضمن المسرود إلى صيغة المنقول المباشر حيث تتداخل الصيغتان تداخلا ظاهريا سرعان ما يتكشف عن صيغتين متغايرتين، ووظيفتين مختلفتين أولاهما أمر بالقول، والأخرى تنفيذ هذا الأمر في سرعة توحي باندماج الأمر في الفعل. فها هو النبي

obeikandl.com

محمد صلى الله عليه وسلم أمام كفار مكة يتحدث إليهم، قبل اكتمال ما أريد منه، ليكتمل في عمله هو- اختصارا معجزا بليغا- فالخطاب المسرود في صيغة الأمر لا يستغرق أكثر من آية ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) ﴾ وهناك بقية تأتي في صيغة أخرى، صيغة المنقول المباشر.

وبعد القطع يأتي الخطاب بصيغة المنقول المباشر كذلك مع اختلاف الصوت ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾ يلي هذا موجز بصيغة الخطاب مسرود، يجمل أحداثا عظيمة تخص آدم عليه السلام ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) ﴾ ويضيء لنا جانبا في طبيعة الملائكة وطاعتها المطلقة لأوامر ربها، وجانبا مضادا مركوزا في طبيعة إبليس هو عصيانه المطلق. ومن ثم تعود صيغة المنقول المباشر لتستمر حتى نهاية القصة.

ب- في سورة الأعراف

يبدأ الخطاب القصصي بصيغة الخطاب المعروض، بضمير الجماعة نا الدال على العظمة والقدرة المطلقة، المتحرفة في الأشياء، خلقا وتصويرا، وإرادة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا

لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾ ومن ثم يتحول ضمير الجماعة إلى ضمير الغائب المفرد، وتتحول الصيغة إلى صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي هي تنويع على الصيغة الرئيسية، صيغة الخطاب المعروض، بها يجري تقديم الحكي، مع اختلاف موقع الصوت الذي يقدمه، من داخل القصة إلى خارجها ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ ﴾... (١٨) هذا التحول، من ضمير الجماعة إلى ضمير الغائب، يتكفل بدور كبير في تطويع أسلوب القص للموقف المحكي؛ فعندما كان الحديث عن الخلق والتصوير والأمر بالسجود.. ناسب ذلك استعمال ضمير الجماعة، فهو حديث عن تكريم المخاطبين، وفي الخطاب المباشر تكريم لهم، ثم عندما جاء الحديث عن إبليس وعصيانه ناسب أن يكون ذلك بضمير مختلف، وبصيغة الخطاب المنقول المباشر التي هي كالأولي لكن ينقلها هنا ناقل (وسيط) ربما إلماحا لعظم الأمر الواقع من إبليس، وإمعانا في إبعاده، وطرده من أي معية حتى ولو كانت لغوية.

ويتحول الخطاب إلى آدم متخذا الصيغة ذاتها، في خطاب معروض مباشر ﴿ وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ

شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ تكريما لآدم فلا وسيط، إنما نرى نحن، ونسمع ما كان، كما كان.

وفي صيغة المسرود يوجز النص لنا ما كان من وسوسة الشيطان لهما، وهدفه من ورائها، ونتيجتها من ظهور السوءة، والخصف من ورق الجنة ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) ﴾ وضمن المسرود المؤطَّر لهذا الجزء من القصة يأتي المنقول المباشر وغير المباشر للإخبار بما كان من إبليس وإغوائه آدم، ونصحه الزائف، وحلفه الكاذب، وكأنه لم يترك سبيلا ممكنا لإغواء آدم إلا سلكه. وبع ذلك يأتي العتاب والتوبة والأمر بالهبوط إلى الأرض في الصيغة التي رأيناها قبل قليل مع إبليس في حواره مع ربه، صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي يتكفل بتقديمها صوت خارجي، وتأتي بضمير المفرد الغائب. فقد ابتعد آدم بذنبه درجة، فلم يعد الخطاب كما كان أولا، يقول تعالى ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن

تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) ﴾.

جـ- في سورة طه

تبدأ القصة مع الخطاب المعروض، بضمير الجماعة نا الدال على العظمة، في مقدمة للحكاية توجز فحواها ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ وتستمر الصيغة ذاتها لنتعرف على ما كان من طاعة الملائكة وعصيان إبليس، وتحذير آدم من عداوته ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يا آدم إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى (١١٩) ﴾ ومن ثم يتداخل الخطاب المسرود مع المنقول المباشر، ليوجز أحداث إغواء الشيطان لآدم، وخطيئته، وتوبته ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يا آدم هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) ﴾ ولعل تداخل الصيغتين: المسرود والمنقول المباشر، في حدث إغواء الشيطان،

يعود لأهمية نص كلام الشيطان، وتلبيسه، الذي يعد مدخلا من مداخله إلى بني آدم: الإغواء بالخلد والملك. وفي صيغة المنقول المباشر كذلك يأتي الأمر بالهبوط، والترغيب في اتباع هدى الله متى جاء ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) ﴾.

د- في سورة الإسراء

مع صيغة الخطاب المعروض، يبدأ القص بضمير الجماعة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ ومن ثم تعوضه صيغة المنقول المباشر حتى نهاية القصة، ويتحول الضمير من الجماعة إلى المفرد مع تحول الصوت من المتكلم إلى الغائب ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا (٦٥) ﴾.

obeikandl.com

هـ- في سورة الحجر

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المعروض، بضمير الجماعة الدال على العظمة، وطلاقة القدرة المتصرفة في مادة الخلق ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ ثم تتحول الصيغة إلى المنقول المباشر، ويتحول الضمير إلى المفرد، في خلق آدم وطلب السجود ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾ ثم في صيغة المسرود يوجز الخطاب أحداث طاعة الملائكة، وعصيان إبليس ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) ﴾ ومن ثم يأتي حوار الله تعالى مع إبليس في صيغة المنقول المباشر حتى نهاية القصة (٣٢-٤٤).

و- في سورة البقرة

نبدأ مع صيغة المنقول المباشر، التي تهيمن على القصة كلها بدءًا من حوار الله تعالى للملائكة حول خلق آدم، ثم إعداده للخلافة في الأرض، وسجود الملائكة وامتناع إبليس... حتى الهبوط إلى الأرض،

يتخللها من حين لآخر صيغة المسرود التي تضيء جوانب في القصة بإيجازها لأحداث كثيرة في كلمات قليلة ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ (٣٦) ﴾ ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(٣٧) ﴾.

محاولة تجميع

لننظر الآن في وظائف قصة آدم عليه السلام الست الرئيسية، وفي علاقتها ببحث الصيغة:

١- الإخبار بخلق آدم

يأتي تبعا لطبيعة الإخبار معروضا في صيغة المنقول المباشر، لينقل لنا المشهد الذي يخبر الله فيه الملائكة بخلق آدم، في سور: ص، والحجر، والبقرة.

٢- سجود الملائكة وامتناع إبليس

تبدأ هذه الوظيفة بالأمر بالسجود، في صيغة الخطاب المعروض، في مكانها من السياق ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ

سَاجِدِينَ ﴾ في سورتي: ص، والحجر. ﴿ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ في سور: الأعراف، وطه، والإسراء، والبقرة. ويلاحظ أن طلب السجود لآدم في سورتي: ص، والحجر، يأتي مرتبطا بالنفخ فيه من روحه سبحانه وتعالى، لأن الإخبار هاهنا كان عن خلق بشر من صلصال، أو من طين. وكأن السجود كان تكريما لروح الله المضاف إلى الطين في آدم عليه السلام. وبعد الأمر بالسجود تأتي النتيجة مجملة في صورة الخطاب المسرود الذي يوجز لنا مرحلة فاصلة في قصة آدم عليه السلام، ويضيء جوانب مهمة في بناء شخصيات القصة: آدم وما كان من تكريم الله إياه بأمره الملائكة أن يسجدوا له بعد أن خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه. والملائكة، بطاعتهم وامتثالهم لأمر الله، وتسليمهم العميق الذي لا يشوبه شائبة تردد. وأخيرا إبليس باستكباره، وكفره، وحقده، وعناده.

٣- سكنى آدم وزوجه الجنة

يأتي في صيغة الخطاب المعروض، حيث نستمع إلى أمر الله تعالى لآدم وزوجه بسكنى الجنة، والأكل مما فيها من نعم، ونستمع كذلك إلى نهيه لهما عن الاقتراب من شجرة معينة فيها، وتحذيره لهما من عدوهما إبليس. نستمع إلى أمرين: (اسكن- كلا) وإلى نهيين: (لا

تقربا- لا يخرجنكما) الأمران متلازمان: السكنى والأكل، والنهيان كذلك متلازمان متبادلان؛ فالشيطان أخرجهما من الجنة بأن سول لهما الاقتراب من الشجرة المحرمة والأكل منها، وهذا التبادل يبين نوع التحذير من إبليس العدو، وأنه لم يكن تحذيرا من أشياء متعددة، بل كان تحذيرا من شيء واحد معين: من الاستماع إلى إبليس والأكل من الشجرة ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

٤- طرد إبليس (من الجنة / من رحمة ربه / من منزلته التي كان فيها):

إن الوظيفة الخاصة بسجود الملائكة وامتناع إبليس، تهيمن عليها صيغة الخطاب المنقول المباشر، حين نرى المشهد معروضا في حوار بين الله وإبليس، في سور: ص، والأعراف، والإسراء، والحجر. وهذه الوظيفة (طرد إبليس) من أطول وظائف السرد في قصة آدم عليه السلام. فهي ليست وظيفة أساسية في قصة آدم فحسب، بل هي وظيفة أساسية في قصة الحياة بصفة عامة؛ فهناك منذ أزمان سحيقة وقف إبليس موقفا أدى إلى أن يطرده الله من رحمته، أو من جنته؛ فتوعد من كان سببا في طرده، وتوعد أبناءه من بعده، وبداخله حقد متقد متجدد،

ناره لا تخمد، فقطع الوعد على نفسه بإغواء ذرية آدم إلا المخلَصين منهم، فلا سلطان له عليهم. وهذه الوظيفة لأهميتها تأتي في صيغة الخطاب المعروض، تلك الصيغة التي تنقل الموقف بكافة تفاصيله إلى المتلقي- المشاهد في هذه الحالة.

ونلاحظ اختلافا في طريقة عرض هذه الوظيفة في سورة الإسراء عنها في السور الأخرى. فالحوار يبدأ في السور الثلاث الأخرى، بسؤال الله إبليسَ عما منعه من السجود- تبكيتا- أما في الإسراء، فيبدأ باستنكار إبليس واستنكافه أن يسجد لمخلوق من طين، وتطاوله على ربه منذ البداية ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا (٦٢) ﴾ لهذا يأتي توعد الله له هاهنا مصحوبا بإخباره بكل سبل الغواية التي يستطيع أن ينفذ منها إلى بني آدم، ويأتي استطراد بصيغة المسرود ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) ﴾ فكل ذلك محض هباء باطل.

٥- الخطيئة والتوبة:

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المسرود، متبوعة بصيغة ملازمة هي صيغة المنقول المباشر. ففي الأعراف ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ

لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ ﴾ ﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ وفي سورة طه ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ ﴾ ﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ ﴾ وفي سورة البقرة ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ﴾ ﴿ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا ﴾ هذا التعليق الذي يتكفل به صوت خارجي، ويأتي في صيغة الخطاب المسرود، يتداخل مع صيغة الخطاب المعروض التي تهيمن على القصة؛ وهذا التداخل يؤدى إلى الإحاطة بجميع جوانب حدث الخطيئة والتوبة.

٦- الهبوط إلى الأرض:

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) ﴾ [سورة الأعراف]. ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) ﴾ [سورة طه]. ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) ﴾ [سورة الحجر]. ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) ﴾ [سورة البقرة]. تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المنقول المباشر، وتنتهي بآدم وذريته خلفاء في الأرض وإبليس عدو لهم.

قصص نوح عليه السلام

١- إرسال نوح والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة في صيغتين متلازمتين، حيث تبدأ بصيغة الخطاب المعروض، ثم تتحول إلى صيغة المنقول المباشر، مع تحول الضمير من نا الدالة على القدرة والعظمة، بوجودها الفاعل في القص، إلى ضمير الغياب، حيث يجري نقل قول نوح عليه السلام نقلا مباشرا. ففي سورة الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) ﴾ تبدأ بخطاب مباشر من الله تعالى ينبثق عنه نقل خطاب نوح إلى قومه، والصيغة نفسها تأتي في سور: هود، ونوح، والمؤمنون، والعنكبوت.

obeikandl.com

٢- تكذيب قومه له

ليست هناك صيغة ثابتة لهذه الوظيفة: فمرة تأتي بصيغة المسرود، كما في سورة الشعراء ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ وتأتي بصيغة الخطاب المعروض، كما في سورة يونس ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ (٧٣) ﴾ وتأتي بصيغة المنقول المباشر، كما في سور: هود ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) ﴾ والمؤمنون ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥) ﴾ والأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) ﴾ ونوح ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) ﴾.

٣- الأمر بصناعة الفلك

في سورة هود: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا

وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) ﴾ نبدأ مع صيغة الخطاب المحول (المنقول غير المباشر) والوحي إلى نوح بثبات قومه على الكفر. ثم يأتي أمر الله إلى نوح بصناعة الفلك في صيغة الخطاب المعروض، ثم يأتي الخطاب المسرود موجزا ومجملا تنفيذ هذا الأمر، وما لقي نبي الله في سبيل ذلك من أذى بسخرية قومه منه. ثم مع المنقول المباشر نستمع إلى رده على قومه في ثقة وطمأنينة. وفي سورة المؤمنون، تأتي بصيغة الخطاب المعروض ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) ﴾.

٤- الطوفان، ونجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المعروض بضمير العظمة والقدرة المتصرفة، في سور: القمر ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) ﴾ والأعراف ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ والشعراء ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) ﴾ وكذلك في سور: يونس، ونوح، والعنكبوت، والمؤمنون- وفي سورة هود، تأتي في صيغة الخطاب المعروض يتداخل معها المنقول المباشر وتنضاف تعليقات خارجية في صيغة الخطاب المسرود ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) ﴾.

قصص هود عليه السلام

١- إرسال هود، والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة في صيغة المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المسرود، كما في سورة الأعراف ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) ﴾ وفي سورة هود ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ (٥٠) ﴾ وأيضا في سورة الشعراء. وتختلف الصيغة في سورة الأحقاف، حيث تبدأ بصيغة المنقول غير المباشر، التي تحضر لصيغة الدعوة الرئيسية (المنقول المباشر) ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) ﴾.

٢- تكذيب قومه له، يأتي بصيغة المنقول المباشر كما في سور: الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ... [الآية] ﴾ والشعراء، وهود، والأحقاف.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المعروض، بضمير العظمة والقدرة القاهرة المتصرفة في الكون بما تشاء، في سورة القمر ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) ﴾ وسورة الأعراف ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾ وكذلك في سورة الشعراء، وفي سورة هود: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ حيث توجز أحداث القصة منذ بدء الدعوة إلى يوم القيامة. وفي الأحقاف تتداخل صيغ الخطاب المسرود والخطاب المنقول المباشر وغير المباشر، والخطاب المعروض كذلك، في دلالة على عظم الحدث... ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) ﴾.

قصص صالح عليه السلام

١- إرسال صالح والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة كما في قصص هود عليه السلام في صيغة المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المسرود، كما في سور: الأعراف ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ والشعراء ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴾ وهود ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ وفي النمل تفتتح بصيغة الخطاب المعروض التي تعوضها صيغة الخطاب المنقول غير المباشر ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ ﴾ بإدماج دعوة صالح في سرد حدث الإرسال، وكأن وظيفة الدعوة ليست مقصودة في السياق وإنما مكر القوم وإنكارهم للحق هو المقصود.

٢- سيرة الدعوة، وتكذيب قوم صالح

تسيطر هاهنا صيغة الخطاب المنقول المباشر، وتتخللها أحيانا صيغة المسرود للربط بين الأحداث، أو لإيجاز أحداث كثيرة لا حاجة للقصة بتفصيلها، كحدث عقر الناقة الذي يأتي دائما في صيغة المسرود، في سور: القمر ﴿ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) ﴾ والأعراف ﴿

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ (٧٧) والشعراء ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) ﴾ وفي سورة هود ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ (٦٥) فيمر غامضا كالحلم، لتبقى فقط نتيجة هذا الفعل قائمة؛ فالوقوع في الخطيئة سهل يسير، أما الخطير فهو مغبة هذا الوقوع في الخطيئة.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي بصيغة الخطاب المعروض كما في سور: القمر ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢) ﴾ والنمل ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾ وهود ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِثَمُودَ (٦٨) ﴾ وفي الأعراف تأتي في صيغة الخطاب المسرود إيجازا وإجمالا ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) ﴾ وبالصيغة ذاتها تأتي في سورة الشعراء، وللغرض ذاته، الإيجاز والإجمال، فما أهون شأنهم.

قصص لوط عليه السلام

١- سيرة الدعوة، وتكذيب قوم لوط

في سورة الأعراف نجدنا أمام الدعوة مباشرة، دون التقديم الذي كان يسبق قصص نوح، وهود، وصالح، وشعيب على نحو ما مر بنا ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ ﴾ (٩٥) ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ﴾ (٨٥) أما عند لوط، فتبدأ القصة مع دعوة لوط قومه في صيغة الخطاب المنقول المباشر ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) ﴾ وكذلك في سورتي الشعراء وهود: في سورة الشعراء تأتي صيغة المسرود لتقديم القصة التي تستمر بعد ذلك في صيغة المنقول المباشر ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١)... قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا لوط لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) ﴾ وفي سورة هود تبدأ القصة بمسرود، يتخلله منقول مباشر ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ

﴾ ثم تكتمل الأحداث بصيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا ﴾.

٢- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة بكاملها بصيغة واحدة، هي صيغة الخطاب المعروض، مع اختلاف السياقات. ففي سورة القمر، بعد التحضير في صيغة الخطاب المسرود ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) ﴾ وفي سورة الأعراف ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾ وسورة الشعراء ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ(١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) ﴾ وسورة هود ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً

عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾ وسورة الحجر ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) ﴾ وفي سورة العنكبوت ﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) ﴾ وكأن ثم أمرا خاصا جللا، وخطيرا، جعل إهلاكهم يتكفل به ضمير العظمة القاهرة المتصرفة، في صيغة الخطاب المعروض.

قصص شعيب عليه السلام

١- إرسال شعيب، والدعوة إلى عبادة الله وحده

تأتي هذه الوظيفة كما في قصص صالح عليه السلام في صيغة المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المسرود ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) ﴾ [سورة الأعراف] وكذلك في سورتي: الشعراء وهود.

٢- سيرة الدعوة، وتكذيب قوم شعيب

تأتي في صيغة المنقول المباشر، لتعرض علينا ما كان بين الجانبين بكل تفاصيل الدعوة والتكذيب، بعد أن يجري التمهيد لها بصيغة الخطاب المسرود، كما في سور: الأعراف ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ... ﴾ وهود ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ... ﴾ والشعراء ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ... ﴾.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين

تأتي هذه الوظيفة في صيغة الخطاب المسرود، في سورتي: الأعراف ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١) ﴾ والشعراء ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) ﴾ وفي هود تتشارك صيغتا الخطاب المعروض، والخطاب المسرود في تقديم الحكي ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) ﴾.

obeikandl.com

قصص موسى عليه السلام

وقصص موسى على طوله، وانتشاره في القرآن الكريم، يأتي في صيغة أساسية، هي صيغة الخطاب المعروض، وتأتي صيغة المسرود لتتخللها مجملة أحداثا كثيرة، كما نرى مثلا في وظيفة إهلاك فرعون التي تأتي غالبا بصيغة الخطاب المعروض، وبضمير العظمة القاهرة المتصرفة التي لا يعجزها شيء مهما علا وبغى وطغى وتجبر. ففي سورة الأعراف ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) ﴾ وفي سورة الشعراء ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾ ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) ﴾ وفي سورة القصص ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١) ﴾ فتفصيل الأحداث هاهنا لا جدوى من ورائه، إنما المهم أن نعرف ما وقع بهذا المستكبر وقومه، فكانت صيغة الخطاب المعروض في دقتها وصرامتها في تقديم الأحداث... ثم إن هذه

الصيغة بإجمالها حدث الإهلاك هكذا، فإنها تدل على هوان فرعون وقومه وسهولة أخذهم على الله عز وجل.

بعد ذلك تأتي وظائف: الاختيار، والدعوة، والاستكبار والتكذيب... تبدأ وظيفة الاختيار للرسالة بصيغة الخطاب المعروض غير المباشر الذي يتداخل فيه المسرود بالمنقول المباشر، وهذا الأخير سرعان ما يفرض هيمنته على الوحدة نجد هذا في سورة طه ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يا موسى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) ﴾ وفي سورة القصص ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا موسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يا موسى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ (٣١) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) ﴾ وهذا التداخل للمسرود والمنقول المباشر، في صيغة المعروض غير المباشر، هاهنا يناسب عرض الحالة النفسية التي كان عليها موسى في ذلك اللقاء الأول بينه وبين ربه.

وتأتي وظيفة الدعوة في صيغة صريحة هي صيغة الخطاب المنقول المباشر بعد أن يتم التحضير لها في صيغة الخطاب المعروض بما يحمله من صفات التحكم والقدرة التامة، كما نرى في سورة الأعراف ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) ﴾ وفي سورة القصص ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى ﴾ بينما يختلف الأمر قليلا في سورتي: طه والشعراء، حيث تأتي وظيفة الدعوة بالصيغة نفسها ولكنها منبثقة عن الوظيفة السابقة لها (الاختيار للرسالة) ففي سورة طه ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ . وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) ﴾ وفي سورة الشعراء ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) ﴾.

ثم وظيفة الاستكبار والتكذيب، ويهيمن عليها صيغة المنقول المباشر، يتخللها المسرود أحيانا. كما في سورة الأعراف ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) ﴾... (١٢٧) وفي سورة طه تبدأ بصيغة الخطاب المعروض، التي تجمل ما يرفع العذر عن فرعون ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٧) ﴾ ... (٧٦) وفي سورة الشعراء ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) ﴾... (٥٦) وفي سورة القصص ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ (٣٩) ﴾.

قصة موسى والعبد الصالح

تهيمن على القصة صيغة الخطاب المنقول المباشر، تتخللها صيغة الخطاب المسرود، لكن التقديم للقصة يأتي في صيغة الخطاب المعروض بضمير العظمة والقدرة المتصرفة في الكون بما تشاء ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ﴾ وهذه الآية هي النواة الرئيسية أوالمحور الرئيسي للقصة؛ فكل ما سيأتي من علم الله ومن رحمته، والعبد الصالح يقول في آخرها: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾.

قصة يوسف عليه السلام

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المعروض، ودائما بضمير العظمة، ومن غير العليم الخبير يمكن أن يخبر بكل هذا: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾.

openkandil.com

١- رؤيا يوسف (٤- ٦)

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ﴾ تأتي بصيغة الخطاب المنقول المباشر، وتكتمل بصيغة المسرود، إذا كان الكلام لغير يعقوب عليه السلام (لله تعالى).

٢- حسد الإخوة (٧- ١٨)

يهيمن هاهنا الخطاب المنقول المباشر يتخلله المسرود، الذي تبدأ به الوحدة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا ﴾ ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) ﴾ ولعل الوحي هنا كان إلى يوسف تثبيتا لقلبه في هذا الموقف الشديد... وإن كان السياق يقبل كذلك أن يكون الوحي إلى يعقوب، حيث

نبأ أبناءه بأمر أكل الذئب ليوسف، وخوفه من ذلك، فكان السبب الذي اتكأوا عليه هو ما نبأهم به يعقوب من قبل ﴿ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾..

٣- يوسف عند عزيز مصر (١٩- ٢٢)

تأتي هذه الوحدة بصيغة المسرود لتوجز جانبا من الأحداث، ويأتي المنقول المباشر متخللا المسرود لعرض الأقوال المصيرية في حياة يوسف: ﴿ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ﴾ ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾.

٤- محنة المراودة (٢٣- ٣٤)

نفتتح هذه الوظيفة بصيغة المسرود، نتعرف خلالها إجمالا على الحدث الخطير ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ تحضيرا للمنقول المباشر وتفصيل الدقائق ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) ﴾ ثم في صيغة المسرود يجري تقديم مجمل سريع، ليس للأحداث الجارية فحسب، وإنما هناك انفتاح كذلك على آفاق أخرى تحدد على وجه الدقة مسار الأحداث ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا

الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ لتبدأ صيغة المنقول المباشر، ونشارك في الأحداث مستمعين إلى الحوار الذي دار ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ ثم يأتي كلام الشاهد بعد ذلك بصيغة المنقول غير المباشر ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) ﴾ فلم يكن الشاهد حاضرا، وإنما حكيت له الوقعة؛ فشهد بما شهد وناسبت الصيغة حديثه. ثم في صيغة المنقول المباشر، ههنا حيث كان الشاهد حاضرا بنفسه، يعاين الأحداث: ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) ﴾ قد يكون الشاهد عندما رأى قال، ويحتمل السياق أن يكون زوجها هو القائل، ردا على قولها ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا ﴾ ويستمر السرد بصيغة المنقول المباشر حتى نهاية الوحدة، تتخللها وتختمها صيغة المسرود، إيجازا وإجمالا ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) ﴾.

٥- يوسف في السجن (٣٥- ٤٩)

نبدأ مع المسرود الذي يتحول إلى المنقول المباشر: ﴿ وَدخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ ﴾ السرد يوجز الأحداث، والعرض ينقل المشاهد الفاعلة التي تمثل الجوانب الرئيسية في القصة: سؤال الفتيين يوسف تأويل حلميهما، ودعوة يوسف لهما إلى عبادة الله وحده، وتأويل الحلمين: ثم تأويل رؤيا الملك والتبشير بعام الغوث.

٦- براءة يوسف، والتمكين له (٥٠- ٥٧)

تبدأ الوحدة مع الصيغة المهيمنة (المنقول المباشر) بطلب الملك ليوسف، واعتراف النسوة بعفته، واستخلاص الملك له، والتمكين له في الأرض، وتختم بصيغة الخطاب المسرود ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾.

obeikandl.com

٧- قدوم إخوته عليه، واجتماعه بأخيه (٥٨- ٨٣)

نبدأ الوحدة مع المسرود تمهيدا لما يلي من أحداث ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨) وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ﴾ ومن ثم تهيمن صيغة المنقول المباشر على الوحدة، في مشاهد حية نعيشها مع أصحابها.

٨- تأويل الرؤيا (٨٤- ١٠١)

تهيمن هاهنا صيغة الخطاب المعروض (المنقول المباشر) يتخللها المسرود، وتنتهي الوحدة بخطاب معروض مباشر بصوت يوسف عليه السلام ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ(١٠١) ﴾.

قصة قارون

نفتتح القصة بصيغة الخطاب المعروض، ودائما مع ضمير العظمة المتصرفة بما تشاء، رفعا وخفضا، إغناء وإفقارا... ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ

obeikandl.com

قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ [سورة القصص: ٧٥] في ومضات سريعة تعرف بمجمل القصة.

ثم يأتي نصح قومه له في صيغة المنقول المباشر ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ ويتحول الخطاب إلى صيغة المسرود ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ وكأنه محض دمية تعرض على الناس ليُفتنوا بها. ومن ثم يأتي خطاب المشاهدين في صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) ﴾ ثم يأتي الخطاب المعروض موجزا ما كان من نهاية رهيبة ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) ﴾ وتختم القصة بصيغة المنقول المباشر ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ

تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) ﴾.

قصص سليمان عليه السلام

نبدأ مع سليمان، وفتنة الصافنات الجياد، وفي صيغة الخطاب المعروض، تتكشف لنا منطقة مهمة في تاريخ النبي سليمان العبد الأواب، وتلك القدرة التي تهب بدون حد ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) ﴾ ومن ثم تأتي صيغة المنقول المباشر ومعها صيغة المسرود كذلك؛ الأولى تعرض علينا مدى أوابيته وحرصه الشديد على ذكر الله، وحبه لذلك ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ والصيغة الأخرى توجز أحداثا طويلة وتخعنا أمام الصورة الكلية ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣) ﴾ وسواء كان ردها شكرا لله وأوبة سريعة إليه وتذكرا أنه صاحب الفضل في نعمة وجودها عنده، بشكره العملي الذي تمثل في مسحه الحاني بسوقها وأعناقها...

أم كان تخلصا منها قربى إلى الله لأنها شغلته عن ذكر ربه حتى صار بذلك كالجسد الذي لا روح فيه.. يقول تعالى في صيغة المسرود ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) ﴾ ولذلك يأتي قول سليمان في صيغة المنقول المباشر، مستغفرا وطالبا ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، لأنه تخلص من الجياد تقربا إلى ربه ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) ﴾.

٢- ومن ثم تأتي الوحدة الثانية: ملك سليمان، في صيغة الخطاب المعروض، بعظمة نا الفاعلين، الدالة على عظيم قدرة الواهب، وعظم الهبة ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠) ﴾ وفي سبأ كذلك ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾.

٣- ملك سليمان، ودوره في الدعوة إلى الله

نحن هنا أمام مجموعة من المشاهد المعروضة، يتم الربط بينها بصيغة الخطاب المسرود، بدءا من تفقد سليمان للطير، وتوعده الهدهد، ومرورا بمجيء الهدهد من سبأ بنبأ يقين، ومن ثم التأكد من صدقه، وإرساله إلى ملكة سبأ، وهدية الملكة إلى سليمان، ثم انتقال عرش الملكة، وقدومها على سليمان، وتعرفها على عرشها، ثم إسلامها (٢٠- ٤٤) وهذه الوحدة يمكن أن نطلق عليها " إسلام ملكة سبأ " نرى هيمنة الخطاب المعروض، يتخلله المسرود قليلا، يوجه المعروض ويملأ الفراغات فيه ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ... فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ... أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ.... فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ.... فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ... وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ.... فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ... ﴾ إننا هنا نجد اعتمادا كبيرا على أقوال الشخصيات، ونجد حذفا كثيرا للأحداث، ربما اكتفاء بالأقوال، يظهر هذا جليا في فصل الزمن حيث القفزات الكبيرة التي نراها في سرد القصص، وهاهنا نجد محذوفات كثيرة تدل عليها القرائن

﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩)..... وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ.... ﴾.

٤- موت سليمان

تأتي هذه الوحدة في صيغة الخطاب المسرود الذي يوجز أحداثا كثيرة: موته، واتكاؤه على منسأته، وأكل الأرضة لها، وخروره، ولبث الجن مع ذلك في العذاب المهين، ثم معرفتهم بموته، وندمهم على لبثهم في العذاب لجهلهم بموته... وكل أولئك يتصدره الخطاب المعروض بنا العظمة الدالة على القوة القاهرة المتصرفة في الكون بما تشاء ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾.

قصة ابني آدم عليه السلام

نبدأ الوحدة مع الخطاب المسرود وتقديم القربان ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ ومن ثم تأتي وحدة التهديد بالقتل في صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) ﴾ ثم تأتي وحدة القتل في صيغة المسرود إجمالا للقتل والنتائج التي ترتبت عليه ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) ﴾ بعد ذلك يأتي بعث الغراب، والندم في صيغة المسرود تتخللها صيغة المنقول المباشر ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾.

obeikandl.com

قصة ذي القرنين

تبدأ القصة بصيغة الخطاب المعروض، في توجيه من الحق سبحانه وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم، فيما ينبغي عليه أن يقول، جوابا عن سؤال أهل الكتاب من اليهود، الذين استعان بهم كفار مكة لكشف صدق نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يا ذا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) ﴾ [سورة الكهف]. تتخللها صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا(٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا(٨٨) ﴾ ﴿ قَالُوا يا ذا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا

(٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴾.

قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام

١- ميلاد مريم (مريم في كفالة زكريا)

تهيمن هاهنا صيغة الخطاب المنقول المباشر ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) ﴾ [سورة آل عمران] وتستمر هيمنة العرض على الوحدة ، يتخلله قليلا الخطاب المسرود.

obeikandl.com

٢- ميلاد المسيح

نبدأ الوحدة مع الخطاب المسرود، الذي يتحول إلى صيغة الخطاب المعروض ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) ﴾ [سورة مريم] ومن ثم يتحول الخطاب إلى صيغة المنقول المباشر ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) ﴾ [سورة مريم] ثم المسرود ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [سورة مريم] وتختم الوحدة بالمنقول المباشر ﴿ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) ﴾ [سورة مريم].

وفي سورة آل عمران تأتي الوحدة كلها بصيغة الخطاب المنقول المباشر ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) ﴾.

٣- رسالة عيسى

تأتي هذه الوحدة بصيغة الخطاب المنقول المباشر، في سورة مريم ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ

أُبْعَثُ حَيًّا(٣٣) ﴾ وآل عمران: ﴿ وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) ﴾.

٤- تكذيب قومه، وكفرهم، ومكرهم

تأتي كذلك في صيغة الخطاب المنقول المباشر، مع مدخل مسرود ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ ﴾ [سورة آل عمران].

قصة أصحاب الجنة

تبدأ الوحدة بصيغة الخطاب المعروض، ونا الدالة على العظمة وطلاقة القدرة وتصرفها ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ

(٢١) ﴾ ثم تأتي صيغة المنقول المباشر، لتضعنا في قلب الأحداث، يتخللها المسرود ربطا وإيجازا ﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢) ﴾ وتختم القصة بالمسرود الذي يوجز الحكمة من تقديم القصة ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾.

قصة أصحاب الكهف

تأتي القصة في صيغة الخطاب المعروض الذي يتجلى فيه ضمير العظمة، متصرفا في خلقه وكونه بما يشاء، يتخلله الخطاب المسرود مجملا لأحداث قد تطول ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ

لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا ﴾ ثم الخطاب المنقول المباشر، الذي يضعنا ضمن ما يجري من أحداث ﴿ فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلاءِ قَوْمُنَا ﴾..... (١٦) وبعد ذلك يسير الخطاب بصيغة المسرود، يشاركه قليلا الخطاب المعروض حين تأتي أهمية التدخل الإلهي ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ ويهيمن الخطاب المسرود فيما دون ذلك ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴾ ثم يتحول إلى المنقول المباشر ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا

فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) ﴾ ثم يعود الخطاب المعروض من جديد، فهو سبحانه وتعالى، الذي أراد أن تجري الأحداث على هذا النحو ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ ثم المنقول المباشر ﴿ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ثم يأتي الختام بصيغة الخطاب المعروض الذي يؤطر القصة، ويؤكد الشعور بمعايشة الأحداث والحضور فيها ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾.

نلاحظ سيطرة المسرود على القصة يتخلله المعروض- المنقول المباشر؛ وبذلك يظهر القائل وأفعاله في سير القصة، وكذلك تفرده بعلم تفاصيلها.

قصة صاحب الجنتين

نبدأ مع صيغة المعروض، وخطاب الحق تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جنتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجنتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ ثم بصيغة المنقول المباشر نستمع إلى الحوار بين الصاحبين ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾- (٤١) يتخلله- للمرة الأولى فيما مر بنا من قصص- صيغة الخطاب المعروض الذاتي، حيث يتحدث صاحب الجنتين إلى نفسه ﴿ وَدَخَلَ جنتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) ﴾ وتختم القصة بصيغة المسرود ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يا ليتني لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) ﴾.

خصائص الصيغة السردية في القصص القرآني

دراستنا للصيغة السردية، تنتج عنها بعض الملاحظات. تتجلى في القصص القرآني من صيغ الخطاب: صيغة المنقول المباشر، التي تهيمن على القص، وتطبعه من ثم بطابع أمانة النقل للقول الوارد، وبهذه الصيغة ترد الوظائف المهمة في القصص، ففي قصص آدم عليه السلام، تأتي الوحدة السردية الأولى، وهي إخبار الله تعالى الملائكة بخلق آدم- دائما- في صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي تحمل إلينا حوار الله والملائكة في هذا الشأن ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ ودائما يأتي الإخبار عن الخلق بضمير المفرد الغائب، ودائما بصيغة واحدة لا تتغير ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ في سور: ص (٧١) والحجر (٢٨) والبقرة

(٣٠). يلي هذه الوحدة الوحدة الثانية " سجود الملائكة وامتناع إبليس " التي تأتي بصيغة الخطاب المعروض، ودائما بضمير الجماعة الدال على العظمة... ودائما بالصيغة الواحدة التي لا تتغير ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ في سور: طه (١١٦) والكهف (٥٠) والإسراء (٦١) والبقرة (٣٤) وتكتمل الوحدة تعرض لطاعة الملائكة، واستكبار إبليس، وامتناعه عن السجود، ومن ثم ذلك الحوار الطويل بينه وبين الله، الذي يأتي في صيغة المنقول المباشر، لأهميته الشديدة، لا في قصة آدم فحسب، وإنما، كما قلنا من قبل، في قصة الحياة بصفة عامة.

وفي قصص الأنبياء، نجد دائما وظيفتي الدعوة والتكذيب تأتيان بهذه الصيغة، صيغة الخطاب المنقول المباشر، بعد أن يتم التحضير لها بصيغة الخطاب المعروض. ففي سورة الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٨٥) الصيغة دائما واحدة، والدعوة أيضا واحدة. وهذا أيضا ما نجده في سورة

هود، وفي سورة الشعراء ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) ﴾ ﴿ كَذَبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) ﴾ ﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) ﴾ ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) ﴾ ﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) ﴾ هذا الاتحاد في الصيغة الكلية للدعوة، بل في كلمات الدعوة، يجعلنا وكأننا أمام نبي واحد، ورسالة واحدة، وإنها لكذلك. وما يزال قول الله تعالى لدى هبوط آدم إلى الأرض ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ [سورة البقرة]- يتردد ما دامت السماوات والأرض، وما زال الهدى يأتي من الله، فمن تبعه نجا وسلم.

الهوامش:

(١) Yves Reuter, introduction à l'analyse du roman, Paris, Dunod, 1996, P. 61 & Oswald Ducrot – Jean Ma. ie Schaeffer , Nouveau dictionnaire encyclopédique des science du langage, éd. du Seuil, coll. Points, 1995, P. 229

(٢) بيرسي لبوك، صنعة الرواية، ترجمة عبد الستار جواد، دار الرشيد للنشر، ط١، ١٩٨١، ص. ١٣٨-١٣٩

(٣) الشكلانيون الروس، نظرية المنهج الشكلي. ترجمة إبراهيم الخطيب. مؤسسة الأبحاث العربية، ط١ ١٩٨٢، ص، ١٨٩ وانظر أيضا، جان ايف تاديه، الشكليون الروس، ترجمة قاسم المقداد، مجلة المعرفة، سوريا، السنة ٣٠، العدد ٣٣٢ مايو ١٩٩١، ص، ١٠١

(٤) لأن العمل الأدبي- كما يقول- ليس مصنوعا من كلمات وإنما من جمل تنتمي إلى سجلات مختلفة من سجلات الكلام، ووصف هذه السجلات يمثل أول مهمة على الناقد أن يقوم بها، حيث ينبغي أن تبدأ بمعرفة الوسائل اللسانية التي تتوفر للكاتب، ينبغي أن نعرف خصائص الكلام قبل إقحامه في العمل الأدبي، فذلك ضروري لمعرفة الخطاب الأدبي ذاته Tzvetan Todorov, Qu'est-ce que le structuralisme ? tome2, Poétique, Paris, Ed.du Seuil, Coll. Points, 1968, P. 39-40 وتودوروف، الأدب والدلالة، ترجمة محمد نديم خشفة ، مركز الإنماء الحضاري (سوريا) ط١ ، ١٩٩٦ ، ص ٨١

(٥) Tzvetan Todorov, Qu'est-ce que le structuralisme, P.51

(٦) Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire , Communications n8, éd .du Seuil, coll. Points, 1981, P. 150

« Nom donné aux différentes formes du verbe employées pour affirmer plus ou moins la chose dont il s'agit, et pour exprimer ... les différents points de vue auxquels on considère l'existence ou l'action »

(٧) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll.Poétique, 1972, P. 183

(٨) Ibid. P. 184

(٩) Ibid. P. 191-193

obeikandl.com

(١٠) Gérard Genette, Figures III, P. 194 & Vincent Jouve, La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999, P. 30-31

(١١) شلومیت کنعان، التخییل القصصی، ص ١٦٠– ١٦٢، وهی تنقل، في حالات عرض الكلام، عن ماكبيل، مقياسا تصاعديا يتسلسل من الحكائي على نحو صرف إلى المحاكاتي على نحو صرف، هذه الحالات (السبع) هي على التوالي التلخيص الحكائي/ التلخيص الحكائي الأقل صرفا / الصياغة الجديدة للمضمون غير المباشر/ الخطاب غير المباشر، محاكاتيا إلى درجة ما / الخطاب غير المباشر الحر/ الخطاب المباشر/ الخطاب المباشر الحر.

obeikandl.com

obeikandl.com

الرؤية السردية

في تعريفنا للسرد، قلنا: إنه الطريقة التي تُروى بها قصة ما، وهذه الطريقة في الرواية يمكن أن تأخذ أشكالا متعددة لا حصر لها، تبعا لموقع الراوي من الأحداث، أو لعلاقته بها، أو بالمروي له. وذلك لأن كل عمل حكائي يستلزم بالضرورة ثلاثة عناصر أساسية، هي: الراوي، والمروي له، والمروي. وموضوع الرؤية السردية يقوم أساسا على وضع الراوي في الحكي، على موقعه الذي يتخذه حيال ما يحكى، وموقفه من هذا المحكي.

منذ أفلاطون وتفريقه بين طريقتي نقل الكلام (الحكاية الخالصة والمحاكاة) ومن بعده أرسطو- الذي أثنى على هوميروس، ورأى فيه شاعرا فحلا؛ لأنه جعل محاكياته في شعره ذات طابع درامي، لا يتدخل الشاعر في أحداثها إلا قليلا تاركا العرض للشخصيات، فتأتي الوقائع حية[1]- بدأت الدعوة إلى مسرحة الحدث لا سرده.

ومع نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، تعود الدعوة إلى مسرحة الحدث للظهور من جديد، على يد الروائي هنري

جيمس، في محاولة للتجديد بمخالفة العرف الروائي السائد، الذي يعتمد على الراوي كلى المعرفة[٢]. ويسير بيرسي لوبوك على نهجه في كتابه " صنعة الرواية " الذي يفتح به باب دراسة الرؤية السردية بتمييزه- الذي سبقت الإشارة إليه- بين العرض (Showing) والإخبار (Telling) حيث في الأولى تقوم القصة بحكاية نفسها بنفسها، وفي الثانية يقوم بالإخبار راو عالم بكل شيء. وينحاز لوبوك إلى جانب الراوي المسرح، المدمج في القصة.

وعند توماشفسكي نجد التمييز بين النمطين السرديين: السرد الموضوعي، والسرد الذاتي، حيث في الأولى يكون الكاتب مطلعا على كل شيء، حتى الأفكار السرية للشخصيات، أما في السرد الذاتي فإننا نتتبع الحكي من خلال عيني الراوي، متوفرين على تفسير لكل خبر، متى وكيف عرفه الراوي أو المستمع نفسه[٣].

بعد ذلك يأتي جون بويّون Jean Pouillon ليقدم أول دراسة منهجية بهذا الصدد، في كتابه المهم " الزمن والرواية Temps et roman " ١٩٤٦ الذي يحدد فيه ثلاثة أنماط من الرؤية: الرؤية مع، والرؤية من الخلف، والرؤية من الخارج[٤]. منطلقا في ذلك من علم النفس

وثيق العلاقة بالرواية. حيث يُعنَى كلاهما بكشف النفس البشرية في حالاتها المختلفة.

ويتبنى تودوروف تصنيف بويّون Pouillon للرؤيات ويسميها " مظاهر السرد " فيضعها إلى جانب زمن السرد وأنماطه، معتبرا إياها أصول تحليل الخطاب السردي. ويهتم بتوضيح معنى كلمة مظهر (Aspect) وأنه يستعملها بمعنى قريب من معناها الاشتقاقي وهو " الرؤية " أو " النظرة " وبكيفية أكثر تحديدا يقول: إن المظهر يعكس العلاقة بين ضمير الغائب (هو) في القصة، وبين ضمير المتكلم (أنا) في الخطاب، أي العلاقة بين الشخصية الروائية وبين السارد. ويستخدم تودوروف عبارة " مظاهر السرد " ليحيل بها على مختلف أنواع الإدراكات التي يمكن التعرف عليها داخل السرد. فنحن عندما نقرأ عملا أدبيا، لا نتلقى الأحداث التي يصفها تلقيا مباشرا، لأننا في الوقت ذاته ندرك- بشكل أو بآخر- الآثار الوجدانية المصاحبة لها لدى الذي يحكيها[٥]. وهذا الإدراك الداخلي يتخذ أشكالا ثلاثة، هي التي اقترحها جون بويّون Jean Pouillon تصنيفا لمظاهر السرد:

أ- السارد > الشخصية الروائية (الرؤية من الخلف: La vision par derrière) وفي هذه الحالة يكون السارد أكثر معرفة من

الشخصية الروائية، وهو لا يعنى بأن يشرح لنا كيفية اكتسابه هذه المعرفة، فليس ثم ستار يحجب عنه سر شيء، فهو يخترق الجدران، ويرى ما يدور برأس بطله... وهذا الشكل هو المستعمل في السرد الكلاسيكي في أغلب الأحوال. ولهذا الشكل درجات متفاوتة، فقد يتجلى تفوق السارد في المعرفة بالرغبات السرية (المجهولة) لإحدى شخصياته، وربما يتجلى في معرفة أفكار عدة شخصيات في وقت واحد- وهذا ما لا يستطيعه أي منها- أو ربما يتجلى ببساطة في سرد أحداث لا تدركها شخصية واحدة بمفردها.

ب- السارد = الشخصية الروائية (الرؤية مع: La vision avec) وهذا الشكل منتشر في الأدب، وبخاصة الأدب الحديث، وفيه يتساوى السارد والشخصية الروائية في المعرفة، فهولا يستطيع أن يقدم لنا تفسيراً للأحداث قبل أن تتوصل إليه الشخصية، وهنا أيضا يمكننا الكشف عن كثير من التمييزات، كأن يتم السرد بضمير المتكلم، أو بضمير الغائب مع الاحتفاظ دائما بالرؤية التي تكونها الشخصية نفسها عن الأحداث.

جـ- السارد < الشخصية الروائية (الرؤية من الخارج: La vision du dehors) والراوي هنا يعرف أقل مما تعرف أي من

obeikandl.com

شخصيات الرواية، إنه يستطيع أن يعف لنا ما يمكن أن يرى، أو أن يسمع، لكنه لا ينفذ إلى أي ضمير. وبدهي أن هذه النزعة الحسية الخالصة موجودة مظهرا من مظاهر الكتابة، وهي أقل بكثير من المظهرين الآخرين، والاستعمال المنظم لهذا المظهر لم يتم إلا في القرن العشرين.

أما جنت Genette فهو يتحدث عن المنظور ضمن الصيغة السردية، وكأنه ليس مظهرا مستقلا من مظاهر السرد، كما رأينا عند تودوروف Todorov مثلا، بل يتحدث عنه إلى جانب المسافة باعتبارهما الشكلين الأساسيين للصيغة، مما أوقعه في بعض المآخذ[٦]. ومع ذلك فقد قدم لنا مشروعا جديدا لدراسة المنظور، حيث بدأ، فيما يقول، بقراءة كتابات السابقين حول ما يسمى، على سبيل الاستعارة، المنظور السردي، فرأى أن معظم الأعمال النظرية التي تتناول هذا الموضوع تعاني من خلط شديد بين الصيغة والصوت، أي بين السؤال: من الشخصية التي توجه " وجهة نظرها " المنظور السردي ؟ أي من يرى ؟ والسؤال: من يتكلم ؟ ومن ثم يتبنى مصطلح " تبئير: Focalisation " حيث يرى أنه أكثر تجريدا، وبذلك يتحاشى المضمون البصري، شديد الخصوصية،

الذي تنطوي عليه المصطلحات الأخرى مثل: رؤية، وحقل، ووجهة نظر[٧].

وهكذا يطلق على النمط الأول، الذي تمثله الحكاية الكلاسيكية، اسما جديدا هو الحكاية غير المبأرة (non-focalisé) أو ذات التبئير الصفر (focalisation zéro) والنمط الثاني الحكاية ذات التبئير الداخلي (interne) سواء أكان ثابتا- كما في رواية السفراء، حيث يمر كل شيء من خلال ستريذر- أم متغيرا كما في رواية " مدام بوفاري " حيث يتم التبئير من خلال شارل، ثم إمّا، وبعدها شارل من جديد... أم متعددا كما في الروايات التراسلية، أو رواية الخطابات المتبادلة (Les romans par lettres) حيث يمكن للحدث الواحد أن يقدم مرات كثيرة، من خلال وجهة نظر عدة شخصيات متراسلة. وأخيرا النمط الثالث، هو الحكاية ذات التبئير الخارجي (externe) التي يتصرف فيها البطل أمامنا دون أن يسمح لنا بمعرفة أفكاره أو عواطفه[٨].

وتستمر دراسة الرؤية السردية، في هذا الفلك، متراوحة بين تصور بويّون Pouillon وتصور جنت Genette[٩] أو بين الرؤيات والتبئير.

ونحن من جانبنا نحاول- مستضيئين بجنت Genette وحديثه حول التبئير، وبشكل أساسي بجون بويّون Jean Pouillon وتصنيفه للرؤية السردية، الذي تبناه تودوروف Todorov وحاول تطبيقه على رواية العلاقات الخطيرة (Les liaisons dangereuses) لـ "لاكلو"- نحاول وضع تصور يتناسب مع القصة القرآنية، في وضعها القداسي.

ولعل الحديث عن الرؤية يعيدنا إلى ما رأينا من تعدد الصيغ للحكاية الواحدة، تبعا لاختلاف السياق الذي وردت فيه. ففي قصص آدم عليه السلام، هناك قصة واحدة، غير أنها تأخذ في كل مرة شكلاً جديدا يجعلها تبدو حكاية جديدة، وإن اتفقت أحداثها وشخصياتها. والسبب هو اختلاف السياق، الذي يغير موقع الرؤية. فمن موقع يتم التركيز على قضية الخلافة، لأن القصة معروضة في سياق يجعل من الإنسان سيد الأرض ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [سورة البقرة: ٢٩] فليتصرف فيها كيف شاء بما لا يحيد به عن طريق هدى الله. ومن هذا الموقع الذي يمثله السياق تُرى القصة من هذه الناحية، ناحية الاستخلاف.

ومن موقع ثان، تُرى القصة هي قصة العداوة بين إبليس وآدم، لتركيزها على إبراز هذا الجانب، فهي معروضة في سياق الموقف من

هدى الله- في سورة الأعراف- حيث تتوالى رسل الله حاملة للناس الهدى، لكنهم يأنفون، ويتعقبون خطى الشيطان، مؤثرين اتباعه- وهو عدوهم الأول- على اتباع الهدى.

ومن موقع ثالث، يتم التركيز على الفوارق بين طبائع كل من الإنسان والجان: الأول مخلوق من طين، وفيه نفخة من روح الله، والثاني مخلوق من النار....

وهكذا يستمر تأثير السياق في القصة التي يستحضرها، على نحو ما رأينا في فصل " القصة والسرد " وهذا السياق، فيما نحن بصدده، يمثل زاوية نرى منها جزءا من القصة يتم التركيز عليه، ويتغير هذا الجزء بتغير زاوية الرؤية، التي يمثلها السياق. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا الموقع، يتحدد بالضمير الذي تُقدم القصة من خلاله، هل هو متكلم: حاضر فيها، أو غائب عنها[١٠].

ومن خلال استقراء أشكال الرؤية في القصص القرآني، أمكننا ملاحظة نمطين أساسيين للرؤية في القصة القرآنية:

أولهما- نطلق عليه الرؤية الذاتية[١١]، بمعنى أن يكون الضمير الذي يتكفل بحكي القصة حاضرا فيها (ضمير الجماعة الدال على

العظمة) كما في قصص آدم عليه السلام من سورة الأعراف ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ (١١) وفي قصص سليمان من سورة ص ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾(٣٠).

والآخر- نطلق عليه الرؤية المحايدة، وفيه تقوم القصة بحكي نفسها، عن طريق الحوار بين شخصيات السرد. وتبدأ بفعل القول (قال) بضمير الغائب ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ [سورة البقرة: ٣٠] و[وسورة الحجر: ٢٨] ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ ﴾ [آل عمران: ٤٢] ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴾ [سورة الكهف: ٦٠].

وأمكننا كذلك ملاحظة نمطين فرعيين، يأتيان تنويعا على النمطين السابقين:

الأول- هو الرؤية الذاتية المحايدة، وتكون مسبوقة بفعل القول ملحقا بنا الفاعلين ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٤] و[سورة الإسراء: ٦١] و [سورة الكهف: ٥٠] و [سورة طه:١١٦] ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [سورة البقرة: ٣٨] ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا ﴾ [سورة هود: ٤٠] ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) ﴾ [سورة

الكهف] ﴿ قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى (٦٨) ﴾ [سورة طه]؛ إذ يبدو فيها المتكلم على مسافة مما ينقل من أقوال.

والآخر- الرؤية المحايدة الذاتية، وتأتي مع نقل محتوى القول، وذلك غالبا ما يُسبق بما في معنى فعل القول، كما في قصص موسى عليه السلام من سورة الأعراف ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) ﴾ ومن سورة القصص ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) ﴾ وفي قصة يوسف ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ(١٥) ﴾.

ومن ناحية أخرى، فإذا كان المتكلم حاضرا في القصة، فهي تُروى من الداخل بمنظور داخلي، وإذا لم يكن حاضرا فيها، وقامت بينه وبينها مسافة، فهي تُروى من الخارج، والمنظور هنا يحتمل الوجهين معا: فهو خارجي إذا ظلت المسافة قائمة بين المتكلم وما يحكي، أو أنه داخلي إذا قامت بالحكي شخصيات السرد.

قصص آدم عليه السلام

١- في سورة ص

تهيمن على الحكي هنا الرؤية المحايدة، حيث ينقل المولى عز وجل قصة اختصام الملإ الأعلى، إلى نبيه محمد ﷺ إثباتا للوحي، الذي لولاه ما علم محمد من أمرها شيئا ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) ﴾

ونلاحظ هنا استخدام ضمير الغائب ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾ مع أن الله تعالى يخاطب نبيه خطابا مباشرا ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ

(٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠) ﴾ وهذا الاستخدام لضمير الغائب نجده دائما مع قصة الخلق الأول، كما في سورة الحجر ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) ﴾ وسورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ وكأنه سبحانه وتعالى يشير في هذه الأماكن إلى أن محمدا ذو مكانة خاصة، من خلال إضافة رب إلى كاف الخطاب في (ربك) فالله سيخلق بشرا من طين، أو من صلصال من حمإ مسنون، قد يفسد في الأرض ويسفك الدماء، لكن محمدا في كل ذلك له مكان خاص؛ هو مربوب الخالق سبحانه. ومن خلال تلك الرؤية المحايدة يتم نقل أصوات شخصيات السرد، في حيادية تمنح الثقة في مصداقية الوحي، خاصة وأنها نزلت على كفار مكة، إثباتا لنبوة محمد ﷺ.

ومع الرؤية المحايدة، كما نرى، يكون الموقع الذي تُحكى منه القصة موقعا خارجيا، ولكن الصوت الذي تُعرض الأحداث من خلاله، هو صوت شخصيات الحكي، فالمنظور السردي داخلي، هو منظور

الشخصيات. ومن ثم يجتمع الموقع الخارجي، والمنظور الداخلي لتتكشف الأحداث من الخارج، ومن الداخل.

٢- في سورة الأعراف

هاهنا نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، حيث تعرض الذات الإلهية لما كان من أحداث الخلق والتصوير ثم سجود الملائكة لآدم، طاعة لأمر ربهم، وامتناع إبليس عن ذلك استكبارا، ويتم الحكي بضمير العظمة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) ﴾ ودائما يأتي الأمر بالسجود لآدم محكيا بالضمير نفسه، الجمع الدال على العظمة المستحقة لله تعالى، نرى هذا في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) ﴾ وفي سورة الإسراء ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾ وفي سورة الكهف ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.... (٥٠) وفي سورة طه ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) ﴾ وهي كل المواضع في القرآن الكريم، فيها يأمر الله تعالى الملائكة أن يسجدوا لآدم، وهو أمر عظيم، يحتاج إلى أن يُقرن بما يدل على

عظمته سبحانه، فكان ضمير الجماعة. وهاهنا نرى الاتصال المباشر للضمير بالفعل ﴿ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ ﴿ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ ﴿ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا ﴾ مؤشرا على ذاتية الرؤية، وجوانية المنظور والموقع.

ومن ثم نتحول إلى الرؤية المحايدة، مع نقل نص الحوار بين الشخصيات بما يسهم في إضاءة جانب مهم في القصة، هو جانب العداوة بين إبليس وآدم، ويسهم أيضا في الكشف عن جوانب في شخصية إبليس: الاستكبار، والعصيان، وفي شخصية آدم: الضعف، وقلة العزيمة ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا ءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ

(٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) ﴾.

ثم تعود الرؤية الذاتية مرة أخرى؛ تؤطر الحكي، وتركز من جديد على عداوة إبليس لآدم وذريته ﴿ يَا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي ءَادَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾.

٣- في سورة طه

يتم الحكي هنا من خلال الرؤية الذاتية، وبضمير الجماعة الذي يعرض ما كان من نسيان آدم عهد الله إليه، بمخالفة إبليس ﴿ وَلَقَدْ

عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) ﴾ وبالضمير نفسه نتحول إلى الرؤية الذاتية المحايدة، حيث يقوم المولى عز وجل بنقل خطابه للملائكة، ثم لآدم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾.

ثم نتحول إلى الرؤية المحايدة، مع الانتقال من التكلم إلى الغيبة، إشعارا بخصوصية العلاقة بين آدم وربه- على نحو ما مر مع محمد ﷺ- وعرضا لتجدد العداوة الدائم، بين آدم وإبليس ﴿ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) ﴾.

٤- في سورة الإسراء

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية المحايدة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) ﴾ ومن ثم تأخذ الرؤية في التحول من الذاتية المحايدة إلى المحايدة، مع الخطاب المنقول المباشر، وحوار شخصيات القص، الذي يلقي الضوء على مشاعر الشيطان تجاه ذرية آدم، وسبيله لإطفاء مشاعر الحقد المضطرمة في صدره ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا (٦٥) ﴾ وفي الآية الأخيرة نجد قوله تعالى ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا ﴾ الذي لا يتعارض مع ما قلناه من قبل عن قرب المربوب من ربه، ويشير الألوسي إلى هذا بقوله " والقلب يميل إلى عدم كونه خطابا للشيطان وإن كان في السابق له "[١٢].

٥- في سورة الحجر

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، وضمير العظمة الذي يناسب السياق، حيث الإخبار عن الخلق، والتصرف في مادته، مما لا يقدر عليه غير الخالق سبحانه ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ وتبدأ من ثم أصوات الشخصيات في الظهور، منظمة من خلال الرؤية المحايدة، تركيزا على سبب رفض إبليس السجود لآدم، وعداوته له، غير أنه لا سلطان له إلا على الضالين الغاوين، أما عباد الله المخلصين، فهم بمنأى عن غوايته، وفي حفظ الله وكنفه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ

الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤) ﴾.

ثم تعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكي، وتؤكد على عظم جزاء أعداء الشيطان- عباد الله المخلصين: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴾.

٦- في سورة البقرة

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، ونقل حوار الله والملائكة، الذي يتم التركيز فيه على الخليفة المنتظر للأرض، وإعداده من قبل الخالق عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ

أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) ﴾.

ثم تحل الرؤية الذاتية المحايدة محل الرؤية المحايدة، مع الأمر بالسجود، والهبوط إلى الأرض ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ تتخللها الرؤية المحايدة في لمحة سريعة ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) ﴾ تلقي الضوء على علاقة القرب بين آدم وربه. وهنا يتجلى المنظور السردي خارجيا ذا عمق داخلي، حيث إن الحكي يتم من مسافة يرجحها وجود فعل القول، والذي ينقل القول هو قائله سبحانه وتعالى.

قصص نوح عليه السلام

١- في سورة القمر

من خلال الرؤية الذاتية يتم سرد القصة، تركيزا على إظهار العذاب الذي وقع بقوم نوح جزاء تكذيبهم ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) ﴾ ونحن هنا أمام انتصار القدرة المطلقة للحق الذي جاء به نوح، وكذب به قومه حتى النهاية، وإننا مع بدايات الدعوة المحمدية، ومن ثم مع التحذير من الإسراع بتكذيب صاحب الدعوة.

٢- في سورة الأعراف

مع الرؤية الذاتية نفتتح الحكي ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ ومن ثم نتحول عنها إلى الرؤية المحايدة، حيث نستمع إلى أصوات الشخصيات في حوارهم، فتُعرض وظيفة الدعوة من منظور داخلي تتقابل

فيه المشاعر والأفكار، بين نوح الذي يؤدي ما أُرسل به هدى من ربه، إلى قومه الذين تحجرت عقولهم وقلوبهم أن يؤمنوا بما جاءهم به نبيهم ﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٢) أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣) ﴾.

ثم نختتم الحكي مرة أخرى مع الرؤية الذاتية التي تؤطر الحكاية، بداية ونهاية ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤) ﴾ تلك الرؤية التي يوجهها ضمير العظمة، الذي يتكفل دائما بأفعال القدرة المتصرفة.

٣- في سورة الشعراء

نفتتح الحكي مع الرؤية المحايدة، وأصوات شخصيات السرد التي يُعرض من خلالها تكذيب قوم نوح واستكبارهم، مع حرصه الشديد على إيمانهم برسالته ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُونِ (١٠٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١٠) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) ﴾.

ومن ثم تختم القصة مع الرؤية الذاتية، التي تتكفل دائما بالأحداث العظيمة، كحدث الإهلاك والإنجاء هنا ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢) ﴾.

٤- في سورة يونس

منذ البداية، وحتى نهاية الحكي، نحن مع الرؤية الذاتية، وقصة نبي من أنبياء الله، عليهم السلام، وما كان من قومه تجاهه، والرؤية الذاتية هنا لأمر عظيم كذلك. فالأمر إلى محمد ﷺ أن يخبر قومه، الشاكين في القرآن ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ

أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ (٢) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ (٣٨)- أن يخبرهم خبر نوح مع قومه ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ إن قوم نوح عليه السلام كقوم محمد ﷺ، كلاهما مكذب بالنذير ومستعجل للعذاب، ولكن أمر الإنذار جد، وعاقبة المنذرين المكذبين رهيبة.

٥- في سورة هود

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، وبضمير العظمة يقص الله تعالى على محمد ﷺ حكاية نوح مع قومه، وتفصيل دعوته لهم، ورفقه بهم، لعلهم يهتدون ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) ﴾.... ثم يعود إلى محمد ﷺ مرة أخرى، ومن ثم يتم عليه بقية الحكاية: اليأس من إيمان القوم، وصنع الفلك، وانتظار أمر الله ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ

لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧).... (٤٨) ﴾.

نجد في بداية السورة ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢) ﴾.

ونجد في ختامها ﴿ وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) ﴾ ومن هنا فقد جاء قصص السورة تثبيتا لفؤاد النبي محمد ﷺ؛ لئلا يسرع الضيق، من عدم إيمان قومه به وبرسالته، إلى صدره، فهكذا كان حال الأنبياء من قبل مع أقوامهم. وإن قوم محمد ﷺ، كقوم نوح، في المسارعة إلى إيذاء نبيهم، وإن الصبر عليهم لهو سبيل النصر.

٦- في سورة نوح

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، التي تتحول إلى رؤية محايدة مع نقل خطاب الشخصية الموجودة في القصة، نوح عليه السلام، وما كان بينه وبين قومه بكل تفاصيل الدعوة ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ

قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧).... (٢٨) إنها عرض لموقف قوم نوح من نبيهم ودعوته، وهي تحذير لأمة محمد ﷺ أن يكونوا مثل قوم نوح فيأخذهم عذاب عظيم.

قصص هود عليه السلام

١- في سورة القمر

يتم الحكي من خلال الرؤية الذاتية، تركيزا على العذاب الذي حاق بمن كذبوا دعوة هود عليه السلام ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩)

تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٢) ﴾.

٢- في سورة الأعراف

من خلال الرؤية المحايدة، حيث تُنقل أصوات شخصيات السرد، يتم حكي القصة بكاملها، وتؤطرها الرؤية الذاتية، بداية ونهاية ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ وهو الصوت الذي تصدر قصص سورة الأعراف، بدءًا بنبي الله نوح عليه السلام ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ (٥٩) ﴾ وبعد ذلك تتولى أصوات الشخصيات عرض الأحداث ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) ﴾... وتأتي النهاية مع الرؤية الذاتية، التي تنفرد دائما بوظيفة الإنجاء، والإهلاك ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾.

٣- في سورة الشعراء

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، وعرض تفاصيل الدعوة، من خلال الشخصيات، مع التركيز على إظهار حرص الرسول على هداية

قومه، متقربا إليهم بكل ما يمكن أن يلين قلوبهم ﴿ كَذَبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) ﴾ بينما هم قساة غلاظ، لا تتأثر قلوبهم، ولا تلين ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٨) ﴾ ومن ثم كانت النتيجة، المعروضة من خلال الرؤية الذاتية- الإهلاك والإنجاء ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) ﴾.

٤- في سورة هود

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، واستئناف عرض قصص الأنبياء مع أقوامهم، على النبي محمد ﷺ ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ ومن ثم تعوضها الرؤية المحايدة بقية القصة، لتُعرض الأحداث من الداخل

بأصوات الشخصيات ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣).... (٥٧) ﴾ ومن ثم تعود الرؤية الذاتية تؤطر الحكي، وتشير إلى وقوع العذاب بقوم هود، دون النص عليه ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾.

٥- في سورة الأحقاف

هاهنا يتم تنظيم الحكي عن طريق الرؤية المحايدة الذاتية في عرض دعوة هود قومه، ثم تؤول إلى الرؤية المحايدة، مع عرض ثباتهم على التكذيب، ومن ثم تعود الرؤية المحايدة الذاتية من جديد تركيزا على تحديد العذاب الذي وقع بهم ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ

وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦) ﴾.

قصص صالح عليه السلام

١- في سورة الأعراف

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، التي تعوضها الرؤية المحايدة، فيُترك الحديث لشخصيات السرد، تعرض من خلال منظورها الداخلي ما كان من دعوة صالح قومه إلى عبادة الله وتذكر نعمه، وما جاءهم به من آية بينة شاهدة على صدقه، وما كان من تكذيب منهم أدى إلى معاقبتهم وإهلاكهم ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ

openkandi.com

إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾.

٢- في سورة الشعراء

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، ونقل أصوات السرد، تركيزاً على تكذيب ثمود، مع حرص صالح على أن يؤمنوا برسالته ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٤).... فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ

الرَّحِيمُ (١٥٩) ﴾ ويلاحظ هنا أن الحكي مؤطر بالرؤية المحايدة، ومكتف بقوله تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ عن وصف ما حاق بهم من ألوانه.

٣- في سورة النمل

نفتتح الحكي مع الرؤية الذاتية، وعرض حال ثمود، وانقسامهم، بعد أن أُرسل إليهم صالح ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) ﴾ ثم تعوضها الرؤية المحايدة، فنستمع إلى أصوات الشخصيات في الحكاية، ونرى إلى أي مدى وصل العداء بينهم ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) ﴾ وتعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكي، وتركز على إظهار قدرة الخالق المطلقة ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ

خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣) ﴾.

٤- في سورة هود

يؤطر الحكي بالرؤية الذاتية، ومن خلال الرؤية المحايدة تعرض الأحداث ونسمع أصوات الشخصيات ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢).... (٦٨) ﴾.

قصص لوط عليه السلام

١- في سورة القمر

من خلال الرؤية الذاتية، يتم التركيز على ما حاق بقوم لوط من عذاب جزاء تكذيبهم، وتماديهم في غيهم ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣)

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ ءَالَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٤٠) ﴾.

٢- في سورة الأعراف

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، ودعوة لوط قومه إلى أن يتركوا ما هم عليه من إسراف، وهم من خلال منظور مقلوب يريدون الخلاص منه ومن آله، لأنهم، فيما يرون، أنقياء منزهون عما يتردى فيه القوم من فاحشة ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) ﴾ ومن ثم، ومع الرؤية الذاتية، تتكفل الذات الإلهية بإنجاء لوط وأهله، وإهلاك قومه وامرأته ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾.

٣- في سورة الشعراء

نفتتح الحكي مع الرؤية المحايدة، وتركيز الحوار على تكذيب قوم لوط لرسولهم مع ما يبذله من جهد في سبيل هدايتهم ﴿ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٣) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَتَأْتُونَ الذكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩) ﴾ ومن خلال الرؤية الذاتية يأتي العذاب الواقع بهؤلاء المكذبين الضالين ﴿ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ (١٧٢) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٣) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥) ﴾.

٤- في سورة هود

نفتتح هذه الوحدة بالرؤية الذاتية المحايدة، ونقل أصوات الشخصيات، التي لا تعلن عن نفسها من أول الأمر، تركيزا على إظهار

حال لوط عند مجيء الرسل إليه. وضيقه بهم، لمعرفته بأمر قومه. وما سيكون منهم تجاه ضيفانه ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ ومن ثم تنفرد الرؤية الذاتية بعرض أحداث النهاية ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣) ﴾.

٥- في سورة الحجر

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، ونقل أصوات الشخصيات، التي تعلن عن نفسها من أول الأمر، وعن قضاء الأمر بهلاك قوم لوط ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) ﴾ ومن ثم تتحول

الرؤية إلى الذاتية ليُعرض من خلالها ما نزل بقوم لوط من عذاب ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) ﴾.

قصص شعيب عليه السلام

١- في سورة الأعراف

نفتتح الحكي مع الرؤية المحايدة، ونقل أصوات شخصيات السرد، تركيزا على دعوة شعيب عليه السلام، وتكذيب قومه ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة حتى نهاية القصة (٩٣).

obeikandl.com

٢- في سورة الشعراء

يفتتح الحكي بالرؤية المحايدة، تركيزا على تكذيب أصحاب الأيكة مع حرص شعيب على هدايتهم ﴿ كَذبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة كذلك حتى نهاية القصة (١٨٩).

٣- في سورة هود

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، والحق تبارك وتعالى يقص على محمد ﷺ قصص الأنبياء مع أقوامهم، تثبيتا لقلبه ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ ومن هنا تبدأ الرؤية المحايدة، مع نقل حوار الشخصيات ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٤) ﴾ وتستمر إلى أن تأتي الخاتمة مع الرؤية الذاتية ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ(٩٤) ﴾.

قصص موسى عليه السلام

١- في سورة الأعراف

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، ومقدمة القصة ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ(١٠٣) ﴾ التي تعوضها الرؤية المحايدة، مع نقل حوار موسى وفرعون ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة، مهيمنة، مع عرض تكذيب فرعون وقومه ﴿ قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) ﴾.... (١٢٧) تتخللها الرؤية الذاتية ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) ﴾ لعرض الأحداث المعجزة، التي يعجز البشر عن الإتيان بها، ومن ثم تعود الرؤية المحايدة ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) ﴾ وتتجدد الرؤية الذاتية مع تجدد الأحداث التي تتطلب قوة متصرفة ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذكَّرُونَ (١٣٠) ﴾.... ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ وبدءا من هنا تتشارك الرؤيتان في تقديم أحداث انحراف فطرة بني إسرائيل، فتأتي الرؤية متداخلة، مما يساعد في التوجيه النفسي لتلقي هذه الأحداث ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) ﴾ (١٦٨).

٢- في سورة طه

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ

لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) ﴾ وتستمر الرؤية المحايدة في اختيار موسى للرسالة، وفي تذكيره بنعم الله عليه، وفي إرسال موسى إلى فرعون، وكذلك في استكبار فرعون وتكذيبه، وحتى مع تغير الأصوات تظل الرؤية ثابتة ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) ﴾ وعندما يأتي الحديث عن الخلق، والإماتة، والبعث فإن الرؤية تتحول إلى الذاتية ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولِي النُّهَى (٥٤) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى (٥٦) ﴾ ثم تعود الرؤية المحايدة من جديد لتنقل الحوار بين فرعون وموسى، وبين موسى والسحرة، وبين السحرة وأنفسهم، وبينهم وبين فرعون (٥٧-٧٩) ثم يأتي إهلاك فرعون وجنوده معروضا من موقع خارجي، ومنظور داخلي (رؤية محايدة ذاتية) ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ

قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٧٩) ﴾ ومن هنا تبدأ الرؤيتان في التداخل، مع إنجاء بني إسرائيل، ومع عرض التوائهم وضلالهم (٨٠– ٩٨).

٣– في سورة الشعراء

نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، حيث ينقل الحق تبارك وتعالى إلى محمد ﷺ قصة موسى مع القوم الظالمين، قوم فرعون، من خلال نقل الحوار بين موسى وربه ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) ﴾.... (١٧) وبين موسى وفرعون ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) ﴾.... (٣٣) وبين فرعون وقومه ﴿ قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) ﴾.... (٤٠) وبين فرعون والسحرة ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) ﴾.... (٥١) وتأتي الرؤية المحايدة الذاتية لتنقل خاتمة قصة فرعون ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ

(٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٦) ﴾ ومن خلال الرؤية الذاتية يتم تقديم النهاية الرهيبة لفرعون وقومه ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) ﴾ ومن ثم تتداخل الرؤيتان الذاتية، والمحايدة لنقل أحداث إهلاك فرعون وقومه، وتكريم بني إسرائيل ﴿ فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ(٦٦) ﴾.

٤- في سورة القصص

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، وموجز للقصة يقدم بضمير الجماعة ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦) ﴾ ومن ثم ننتقل إلى الرؤية المحايدة الذاتية، وعرض

جانب من طفولة موسى، منذ إلقائه في اليم حتى إعادته إلى أمه ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ ﴾.... (١٣) ومن ثم ننتقل إلى مرحلة أخرى من حياة موسى مع الرؤية الذاتية، واستمرار تدخل الذات الإلهية عناية بموسى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) ﴾ وبعدها يسير الحكي من خلال الرؤية المحايدة، ليعرض علينا تلك المرحلة الفاصلة، الانتقال من الطفولة إلى النبوة، وما فيها من الخروج إلى مدين (١٥– ٢٩) وتستمر الرؤية المحايدة في نقل اللقاء بين موسى وربه في الوادي المقدس، ذلك اللقاء الذي ينتهي به رسولا من الله رب العالمين إلى فرعون وملإه ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾..... (٣٥) وتستمر الرؤية المحايدة كذلك في نقل الحوار بين موسى وفرعون (٣٦– ٣٨) إلى أن تأتي الخاتمة المتمثلة في إهلاك فرعون وجنوده، من خلال الرؤية الذاتية، التي تتكفل دائما بعرض الأمور العظيمة ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢) ﴾.

قصة موسى والعبد الصالح

يفتتح الحكي مع الرؤية المحايدة، ونقل أصوات الشخصيات. فنحن نبدأ الرحلة إلى مجمع البحرين مع صوت موسى وفتاه منقولا من خلال تقنية الرؤية المحايدة، ذات الموقع الخارجي ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) ﴾... ويستمر السرد على هذا إلى أن تظهر الرؤية الذاتية ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ﴾ ومن خلال خصوصية هذا العلم، وتلك الرحمة ستكون أفعال العبد الصالح غير المبررة لموسى ظاهريا ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي

obeikandl.com

لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ ولهذا نجد العبد الصالح لا ينسب شيئا من أفعاله لنفسه ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾ متدرجا بالضمير " فَأَرَدْتُ-

فَأَرَدْنَا- فَأَرَادَ رَبُّكَ ": ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ إلى ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا ﴾ وأخيرا ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ إنها إرادة الله الذي وهبه من علم الغيب ما رأى به نتائج أفعاله حين فعلها.

قصة يوسف عليه السلام

تبدأ القصة بالرؤية الذاتية، حيث يخبر الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ أن القرآن يتضمن أحسن القصص، التي لم يكن يعلم شيئا منها من قبل أن يُنزّل عليه ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣) ﴾ هذه الرؤية تتوزع بعد ذلك في أثناء القصة لتؤدي دورا مهما فيها ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) ﴾ ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ

يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) ﴾ إنها كل الأحداث الفاصلة في مجرى القصة، التي تتحكم فيها قدرة قاهرة، متصرفة كيف شاءت...- كلها تعرض من خلال الرؤية الذاتية ، وكلها بضمير الجمع الدال على العظمة.

إننا من أول السرد مع المنظور الداخلي، سواء من خلال الرؤية الذاتية، أو مع الرؤية المحايدة، التي تعرض القصة من منظور شخصيات السرد، اللهم إلا من بعض تعليقات سريعة تظل محتفظة بموقع خارجي، كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلسَّائِلِينَ(٧) ﴾ ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) ﴾ ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠) ﴾ ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤) ثُمَّ بَدَا

لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ (٣٥) ﴾ ﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾ ﴿ وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾ ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٥٨) ﴾..... وكلها تمثل خلفية هامة يستند إليها السرد. وأهميتها ترجع إلى طبيعة المنظور الخارجي فيها، حيث تقدم الأحداث من الخارج، فيتم الإحاطة بجوانب كثيرة، من خلال التعليقات السريعة الموجزة.

وقولنا: إن الرؤية المحايدة تؤول إلى الرؤية الذاتية، يعني أن صاحب الرؤيتين واحد، وتغير الرؤية إن هو إلا إحدى تقنيات الأداء السردي في القصص القرآني؛ ولذلك نلاحظ اتفاق الصوتين في بعض الخصائص: أظهرها أن كليهما يوجد في السرد كمفاصل رابطة للتحولات الكبرى في مجرى القصة، وربما تداخلت الرؤيتان بحيث يصعب الفصل بينهما، وتمييز إحداهما من الأخرى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ

نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾ ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ الشيء الوحيد الفاصل بينهما هو المنظور، إن كان خارجيا فالرؤية محايدة، وإن كان داخليا- لفاعل موجود في السرد- فالرؤية ذاتية.

ولنتابع الآن الرؤية السردية للوحدات السردية، التي تتوزع عليها قصة يوسف عليه السلام:

١- الرؤيا (٤- ٦): يتم تقديمها داخليا بأصوات شخصيات السرد (يوسف الصبي وأبوه) وفيها يتم التركيز- لا على الرؤيا نفسها، التي يحكيها يوسف في إيجاز شديد لأبيه، بل- على إخوة يوسف وموقفهم تجاهه. فمن وجهة نظر الأب نرى جانب الكراهة من

إخوة يوسف لأي خير يأتيه. وليس ذلك عن أصالة فيهم- حب الأب لأبنائه- بل لأن الشيطان عدو الإنسان الأول لن يترك سبيلا لإيقاع العداوة والحسد من إخوته له إلا سلكه. فخرج بذلك القصد- عن أن يكون كشفا لنفوس إخوة يوسف- لأن يكون كشفا لضعف النفس البشرية بعامة، أمام غواية الشيطان. وبعد ذلك يتم التركيز على دلالة الرؤيا، ومن ثم على نعمة الله على يوسف، وعلى أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق.

٢- حسد الإخوة (٧- ١٨): في هذه الوحدة المؤطرة بالرؤية المحايدة، نجد العرض فيها يأتي أساسا بصوت الإخوة أنفسهم، يفكرون بعقل الشطان، ويتحدثون بلسانه ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) ﴾ متوسلين إلى الخير غيرَ المؤكد بالشر المؤكد. وفي هذه الوحدة نجد كذلك قلق الأب على ابنه معروضا بصوت الأب نفسه ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) ﴾ ونجد رحمة الله بيوسف، حيث لم يتركه يقاسي وحشة الجب بل أوحى إليه ما خفف عنه تلك الوحشة، وكان هذا من خلال الرؤية الذاتية ﴿

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٥) ﴾ فكأن كل صوت في هذه الوحدة قد تكفل بعرض فعله بنفسه، في حيادية سردية.

٣- يوسف عند عزيز مصر (١٩- ٢٢): نبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة، وبداية التمكين ليوسف في الأرض، حيث عثر عليه السيارة، وباعوه لمصري زاهدين فيه، ونختتمها مع الرؤية الذاتية؛ تأكيدا لذلك التمكين ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(٢٢) ﴾.

٤- محنة المراودة (٢٣- ٣٤): نبدأ الوحدة الرابعة مع الرؤية المحايدة، وعرض تحولات العلاقة بين يوسف وامرأة العزيز من منظور خارجي، ينتقل إلى الداخل مع صوت الشخصيات، لكنه يتحول مرة أخرى إلى الرصد الخارجي للأحداث كما تجرى دون تدخل ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ لكن الرؤية تتحول إلى الذاتية التي لا تكتفي بالرصد بل بالوجود الفاعل في الأحداث ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) ﴾ وبذلك يتم عرض

وقعة المراودة من الداخل. ومن الخارج أيضا، بما لا يدع مجالا للشك في نقاء يوسف وبراءته. وقدر الجهد الذي بذله في سبيل الحفاظ على طهارته. مع كل ما لاقى من أغراء وتهديد. ونرى كذلك حكمة الزوج التي تمنعه من التهور في هذا الموقف الدقيق الذي رأى فيه زوجته، التي نراها هي الأخرى ولا قائد لها غير أهوائها وشهواتها. كل هذه الصور يتم التركيز عليها من الداخل حين تتكفل شخصيات السرد بالحكي، ومن الخارج من خلال الرؤية المحايدة.

٥- يوسف في السجن (٣٥- ٤٩): نبدأ الحكي مع الرؤية المحايدة، ويظل العرض داخليا بأصوات الشخصيات على طول الوحدة، والتركيز هنا على علم يوسف الذي آتاه إياه ربه- تأويل الأحاديث- ومن خلال يوسف، يجرى التركيز على وحدانية الله، التي حدث صاحبي سجنه طويلا عنها. حيث كان بصدد تأويل رؤيا كل منهما.

٦- براءة يوسف، والتمكين له (٥٠- ٥٧): نبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة، ونقل أصوات الشخصيات: طلب الملك ليوسف، وسؤاله النسوة، واعتراف امرأة العزيز... ومن ثم تأكيد الملك على طلبه يوسف، يستخلصه لنفسه، ويجعله- كما أراد يوسف نفسه- على خزائن الأرض. وهنا تأتي الرؤية الذاتية مؤكدة على تمام التمكين ليوسف في

الأرض ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧) ﴾.

٧- قدوم الإخوة (٥٨- ٨٣) تبدأ الوحدة مع الرؤية المحايدة، وقدوم الإخوة، وتعرف يوسف عليهم وهم له منكرون، وتظهر أصوات الشخصيات تشارك في الحكي: طلب يوسف لأخيه، ومراودة الإخوة لأبيهم عنه، ومن ثم اجتماعه بأخيه، واستبقاؤه له عنده.

٨- تأويل الرؤيا (٨٤- ١٠١) امتدادا للرؤية المحايدة- في الوحدة السابقة- تأتي هذه الوحدة الخاتمة، التي يتعرف فيها الإخوة على أخيهم ويعترفون بخطئهم، وتجتمع الأسرة كلها: الأحد عشر كوكبا، والشمس والقمر يخرون له ساجدين تأويلا للرؤيا التي جعلها الله حقا، ومن ثم تختتم كما بدأت، بالرؤية الذاتية ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢) ﴾.

obeikandl.com

قصة سليمان عليه السلام

١- في سورة ص

هاهنا يتم الحكي من خلال الرؤية الذاتية، عن أوابية سليمان، ومن ثم يتم تقديم تفاصيل تلك الأوابية مشاركة مع الرؤية المحايدة، ونقل كلام سليمان ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠) ﴾ ونلاحظ هيمنة الرؤية الذاتية، ودلالتها على درجة القرب التي بلغها سليمان العبد الأواب.

٢- في سورة النمل

هاهنا أيضا نبدأ مع الرؤية الذاتية، التي تترك الحكي للرؤية المحايدة ومن ثم لشخصيات السرد؛ تعرض ملك سليمان، ودوره في الدعوة إلى الله، فيأتي المنظور خارجيا، وداخليا محيطا بجوانب هذا الملك، وعارضا سلطان سليمان الممتد، وفي هذا العرض كذلك تشارك أصوات مختلفة: من الجن، والإنس، والطير، والنمل.... ﴿ وَلقد ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾.

٣- في سورة سبأ

هاهنا يرد الحديث مرة أخرى عن ملك سليمان الذي خصه الله به، معروضا من خلال الرؤية الذاتية ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾ ثم يتحول موضوع السرد،

obeikandl.com

من خلال الرؤية ذاتها، إلى وجهة أخرى، حين يرد الحديث عن موت سليمان، وجهل الجن بذلك، ولبثهم فيما هم فيه من عمل شاق مدة من الدهر ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤) ﴾.

قصة ذي القرنين

وفيها تهيمن الرؤية الذاتية، بصورة واضحة، فالأمر هاهنا يختلف، إذ لا يأتي سرد القصة ابتداء، بل يأتي ردا على سؤال متحد من أهل الكتاب لمحمد ﷺ، فكان الرد عليهم معروضا جميعه من الداخل، من خلال تقنية الرؤية الذاتية، وتلك القوة المتصرفة في الأحداث بإرادتها، ووفق مشيئتها ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾(٩٩) [سورة الكهف].

obeikandl.com

قصة أصحاب الكهف

ونجد فيها كذلك هيمنة الرؤية الذاتية. والسبب هنا هو نفسه في القصة السابقة- قصة ذي القرنين- أن القصة جاءت ردا على سؤال لأهل الكتاب اختبارا لصدق نبوة محمد ﷺ. فكان الرد كاشفا عن قدرة قاهرة متصرفة ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) ﴾ فليست قصة أصحاب الكهف، مع كل ما فيها من عجائب، بأعجب آيات الله. وتستمر الرؤية الذاتية تعرض من الداخل تلك القدرة، ويستمر ضمير الجمع الدال على العظمة في توجيه الأحداث: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ ﴾ ﴿ زِدْنَاهُمْ﴾ ﴿ رَبَطْنَا ﴾ ﴿ نُقَلِّبُهُمْ ﴾ ﴿ بَعَثْنَاهُمْ ﴾ ﴿أَعْثَرْنَا ﴾... ثم تأتي النقطة الأهم، في تحديد عددهم، ومدة لبثهم في الكهف ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾ فالله

هو صاحب الوحي ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾ وهو أعلم بعدتهم على وجه التحديد، ولكن هذا هو قول أهل الكتاب: ثلاثة، وخمسة، وسبعة رجما بالغيب. كما يرجمون بالغيب كذلك في تحديد مدة لبثهم في الكهف، والله تعالى وحده يعلم كم لبثوا في كهفهم ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾ إنها الرؤية الذاتية تعرض كل هذا عرضا مستقبليا لما سيكون من أهل الكتاب، والله تعالى يضعه على لسان محمد ﷺ- عبده الذي أنزل عليه الكتاب ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) ﴾.

قصة قارون

يبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، التي تعوضها الرؤية المحايدة- لعرض فتنة قارون بما أُوتي من كنوز- ونستمع إلى حوار الشخصيات ﴿

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) ﴾.... ثم تنفرد الرؤية الذاتية لتعرض هوان قارون وما يملك، أمام تلك القدرة ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) ﴾ وتبين أن الفوز في الآخرة، لا علاقة له بالجاه والمال، وإنما هو في ترك الكبْر والاغترار بالحياة الدنيا ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾.

قصة أصحاب الجنة

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، التي تجمع في الاختبار بين كفار مكة وأصحاب الجنة ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ تعوضها الرؤية المحايدة الذاتية، التي يتم استعادة خبر أصحاب الجنة من خلالها ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا

وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) ﴾ وهنا مع الرؤية المحايدة يأتي عرض تلاومهم وندمهم على ما كان منهم ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ وإن مثلهم لكفار مكة، أنعم الله عليهم بمحمد ورسالته، فكذبوه وحاربوه.

قصة ابني آدم عليه السلام

نفتتح الحكي بالرؤية الذاتية، والتأكيد على أن ما يذكر هو الحق الذي لا لبس فيه ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ ءَادَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ ﴾ ثم تأخذ الرؤية المحايدة في إكمال الحكي، فتعرض فضيلة الخير لدى أحدهما، وروح الشر المتسلطة على الآخر، من خلال حكاية القربان المتقبّل من أحدهما،

وغير المُتقبَل من الآخر ﴿ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) ﴾ ثم يتحول الموضوع المعروض ليصير هو ندم القاتل الذي عجز أن يكون مثل الغراب فيما رأى منه ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾ ثم تعود الرؤية الذاتية لتؤطر الحكي ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢) ﴾.

قصة صاحب الجنتين

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية، ووصف العطاء الجزل الذي أُعطيه صاحب الجنتين ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا

جنتيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنتيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ ومع أصوات شخصيتي السرد. ومن خلال الرؤية المحايدة، تعرض عاقبة حب الدنيا والاغترار بزينتها، والكفران بنعمة الله، وما في ذلك من خسران مبين في الدنيا والآخرة ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جنتهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جنتكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جنتكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣) ﴾.

قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام

١- في سورة مريم

نبدأ الحكي مع الرؤية الذاتية ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) ﴾ تعوضها الرؤية المحايدة، ونسمع أصوات الشخصيات، في الحوار بين مريم والملك ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ ﴾.... (٢١) ثم في كلام عيسى لها ﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) ﴾ مؤكدا لها وقوف قوة قاهرة إلى جانبه، تؤيده بالمعجزات، قوة تملك الأشياء ووظائفها؛ ليسكن قلبها وتطمئن، حتى إذا أتت به قومها تحمله، كانت مطمئنة إلى رعاية الله لها ولولدها. وهنا يأتي حوار عيسى وقومه من خلال الرؤية المحايدة ﴿ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا

(٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ﴾.

٢- في سورة الأنبياء:

يأتي الحكي هاهنا من خلال الرؤية الذاتية فقط ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١) ﴾.

٣- في سورة آل عمران

هاهنا تهيمن على القصة تقنية الرؤية المحايدة، ويُقدم لنا الحكي بأصوات الشخصيات، منذ أن نذرت امرأة عمران ما في بطنها لله ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) ﴾.... (٣٦) ودخول مريم في كفالة زكريا، ورؤيته ما كان منها من كرامات ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا

الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾.... (٤١) واصطفاء مريم، وتبشيرها بعيسى، ودعوة عيسى بني إسرائيل ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) ﴾..... (٥٤) وتتخللها لقطات سريعة تعرض من خلال الرؤية الذاتية، تتدخل فيها القدرة الإلهية، كإخبار محمد ﷺ أنه لم يكن ليعرف هذه القصة إلا بالوحي ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) ﴾.

خصائص الرؤية السردية في القصص القرآني

من خلال ما مر بنا نعاين هيمنة الرؤية المحايدة على الحكي في القصص القرآني، وفي هذه التقنية، يتم تنظيم الحكي من موقع خارجي،

obeikandl.com

بينما تُترك شخصيات السرد تتحدث بأصواتها دون تدخل، مما يعطي انطباعا للمتلقي بصدق ما يتلقى، حين يجد نفسه مشاركا في الحكي بوصفه مشاهدا حاضرا ومستمعا لما يجري من حوار. تتجلى هذه الرؤية في وظيفة الدعوة، من قصص الأنبياء، وما يصاحبها من جدل التكذيب، حيث الحاجة إلى معرفة التفاصيل المتلبسة بالدعوة، كعلاقة الرسول بقومه، ومنهجه في دعوتهم، وهدفه منها..... وكل هذا يجرى أمام عيني المتلقي من خلال الرؤية المحايدة، فيرى بموضوعية، وعليه من ثم أن يحكم بعقله على ما رأى، وأن يجنب كل حكم للهوى، أو للعادة.

ويظهر كذلك، وإن بصورة أقل، تقنية الرؤية الذاتية، التي تُلحق دائما بنا الفاعلين الدالة على العظمة، ومن خلالها يتم حكي الأحداث الفاصلة في القصص، تلك التي تحتاج إلى قوة قاهرة متصرفة، كالخلق، وإرسال الرسل، وإنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين.... وقد رأينا مثلا في القصص الأول، حيث تبدأ قصص الأنبياء دائما مع سورة القمر، كلها بالرؤية الذاتية، تعرض نماذج لأمم كذبت قبل أمة محمد ﷺ، وكيف كان عذاب الله لهؤلاء المكذبين في الدنيا قبل الآخرة، فلتحذر أمة محمد ﷺ أن تكذب هي الأخرى بالنذير، فهي أمة كالأمم التي توالى سرد ما حاق بها من عذاب، ولعرض صور العذاب من خلال الرؤية

الذاتية أثره البين في النفس، فالمتكلم هو الفاعل، ولن يكلفه الأمر شيئا: ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ وعاد وثمود وقوم لوط، وآل فرعون.... ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢).... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠).... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١).... وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ(٣٨).... كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) ﴾.

يبقى بعد ذلك الرؤية الذاتية المحايدة، وهي تتخلل القصص القرآني، ومن اسمها فهي تجمع بين الرؤيتين السابقتين، مع غلبة الرؤية الذاتية فيها، وشكلها الأمثل، حيث ينقل الحق سبحانه وتعالى قوله من خلال ضمير العظمة الذي يأتي فاعلا في القصة والسرد على السواء ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ وهي قليلة وتأتي غالبا تمهيدا للرؤية المحايدة أوفي أعقابها.

والرؤية المحايدة الذاتية، وهي على عكس السابقة، تغلب فيها الرؤية المحايدة، وتتمثل في نقل معنى الكلام لا نصه، كما في قوله تعالى، في قصص لوط عليه السلام من سورة الحجر ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) ﴾.

وثم ملاحظة نلفت إليها، تتمثل في تداخل الرؤيات الذي مر بنا في بعض المواضع في القصص القرآني، مثل ذلك القسم الخاص ببني إسرائيل، في قصص موسى عليه السلام، من سورتي: الأعراف (١٣٨-١٦٨) وطه (٨٠- ٩٨) فلعل هذا التداخل يأتي بقصد التوجيه النفسي للمتلقي، مما يناسب ما يؤديه هذا القسم من عرض لانحراف بني إسرائيل وفساد طبيعتهم.

الهوامش:

(١) انظر: محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث. دار نهضة مصر. القاهرة ١٩٧٧، ص ٥٠

(٢) انظر روجر هينكل، قراءة الرواية، ترجمة صلاح رزق. القاهرة، ط١ ١٩٩٥، ص: ٢١١

(٣) الشكلانيون الروس: نظرية المنهج الشكلي ترجمة إبراهيم الخطيب. مؤسسة الأبحاث العربية، ط١ ١٩٨٢، ص: ٨٢

(٤) Jean Pouillon, Temps et roman, Paris, Ed. Gallimard, 1993, P. 66 – 105

(٥) Tzvetan Todorov, Les catégories du récit Littéraire , Communications n°8, éd. du Seuil, coll. Points, 1981, P. 147

(٦) ربما كان اعتماده على قاموس Littré حيث يحدد المعنى النحوي لمادة mode بأنه "اسم يعطى لأشكال الفعل المختلفة... وللتعبير عن وجهات النظر المتغايرة" هو الذي قاده إلى ما ذهب إليه، إذ إن تعريف الصيغة فيه، كما نرى، يضم أشكال الفعل، ووجهات النظر؛ فتحدث عن المظهرين معا، جامعا بينهما في مبحث واحد.

(٧) Gérard Genette, Figures III, Paris, éd. du Seuil, coll. Poétique, 1972, P. 203

(٨) Ibid. P. 206 - 207

(٩) ممن سنلتقي بهم بعد جنت Genette. Mieke Bal في مقالهما: Narration et focalisation المنشور في العدد التاسع والعشرين من مجلة Poétique ١٩٧٧ (١٠٧ – ١٢٧) الذي تقدم فيه قراءة لتصور Genette السابق، ومقال آخر بعنوان Le jeu de la focalisation لـ Pierre Vitaux نشر بالمجلة نفسها تعليقا على مقال Mieke Bal السابق، وهذا تماما ما فعله كل من: خلوميت كنعان في كتابها التخييل القصصي، ترجمة لحسن أحمامة ١٩٩٥ و Vincent Jouve في كتابه

La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999.

(١٠) وهذا بدوره يضعنا أمام قضية الالتفات في العربية، وشرطه أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائدا في الأمر نفسه إلى الملتفت عنه، ومعلوم أن للتكلم والخطاب والغيبة مقامات، والمشهور أن الالتفات هو الانتقال من أحدهما إلى الآخر، بعد التعبير بالأول.

(١١) استعملنا كلمة (الذاتية) هنا لا بمعنى (الانطباعية) وإنما بمعنى حضور الضمير الفاعل في الحكي.

(١٢) روح المعاني، دار الفكر ١٥/ ١١٣

obeikandl.com

obeikandl.com

محاولة تجميع

وبعد، وقد وصل بنا البحث إلى نهايته، فإننا نستطيع القول إن ثمة ملاحظات توصلنا إليها بحثا عن الخصائص المميزة للقصص القرآني، وفيما يلي نستعيد أهم تلك الخصائص:

أولا- من خلال دراستنا للمتن القصصي رأينا، أن هناك قصصا يرد أكثر من مرة في مواضع مختلفة من الكتاب الحكيم، وآخر يرد ذكره مرة واحدة فقط، وأن النوع الأول يأتي في كل مرة يذكر فيها بشكل مختلف، كما رأينا في قصص: آدم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى... وفيها جميعا، نجد نواة وظيفية تتكرر، فيما عدا قصص آدم الذي يمثل مقدمة وسببا في وجود هذه النواة: نقرأ في ختام قصة آدم من سورة البقرة قوله تعالى ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ ثم تتوالى القصص بعد ذلك: يأتي الهدى من الله؛ فيتبعه الناجون، ويكذب به الهالكون. ومن ثم كانت تلك النواة الوظيفية التي انبنى عليها جميع القصص التالي:

obeikandl.com

١- الدعوة إلى عبادة الله وحده.

٢- الرفض والاستكبار.

٣- نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين.

هذه البنية تقابلنا في كل مرة في القصص المذكور، تتغير الشخصيات، بينما تظل وظائفها ثابتة: تظل الدعوة، ويظل التكذيب، وتظل العاقبة... وكأنها قصة واحدة تتكرر حلقاتها على الصورة نفسها، كلما كانت فترة نسى فيها الإنسان عداوة الشيطان، ووعيده القديم.

غير أن الهدف الذي تأتى من أجله القصة- من قصص النبي الواحد- يجعلها تختلف، في كل مرة، في بنيتها الوظيفية فيكون التركيز على وظائف دون غيرها، ويكون بحضور وظائف أو غياب أخرى؛ مما يؤثر في متتالية الوظائف؛ فيجعلها بالتالي قصة جديدة في كل مرة كما مر بنا من قبل.

وأما القصص مفرد الذكر في القرآن، فقد رأينا كيفية تماسك الوظائف فيه، تماسكا منطقيا، زمنيا في الوقت ذاته، بحيث تقوم كل

وظيفة على سابقتها وفق امتداد خطي تسلسلي، غالبا، وكل وظيفة لها دورها الذي يحدده السياق.

ثانيا- من خلال دراسة البنية الزمنية في القصص القرآني، رأينا كيف يهيمن المشهد الحواري على السرد القصصي القرآني. وكيف أنه يتكفل بعرض الأحداث الرئيسية كما رأينا في قصص الأنبياء من أن وظيفتي: الدعوة والتكذيب تأتيان دائما على هيئة مشهد حواري، وهما الوظيفتان الأكثر أهمية في القصص القرآني باعتباره وسيلة من وسائل الدعوة، وللمشهد الحواري خصائص تتمثل في التحام الزمن القصصي بالزمن السردي؛ فيصير بذلك حاضر السرد هو حاضر الأحداث، ويصبح المتلقي مشاهدا يعاين الأحداث بنفسه ويعيشها لحظة بلحظة. وقد رأينا كيف يتناوب الحذف، والإيجاز، والمشهد الوجود في القصص: الحذف يتخطى أحداثا لا يحتاجها الموقف القصصي، والإيجاز يعرض للأحداث عرضا سريعا مجملا لأهمية ذكرها في السياق ولكن في غير تفصيل، كما في وظيفة الإهلاك والإنجاء، في قصص الأنبياء، التي تأتي- غالبا- موجزة؛ فتدل من ناحية على هوان الهالكين على الله عز وجل، ومن ناحية أخرى على قدرة الله تعالى المطلقة.

أما بالنسبة لعلاقات الترتيب بين زمني القصة والسرد، فكثيرا ما تبدأ القصص باستباق، يهيئ نفس المتلقي، ويوجه توقعاته، كما رأينا في قصص آدم عليه السلام، حيث هناك الاستباق الإعلاني الذي يتصدر أكثر القصص، وفيه يخبر المولى عز وجل الملائكة بأنه سيخلق بشرا من طين، وما يلي بعد ذلك يترتب بوجه من الوجوه على هذا الاستباق، كما رأينا من رفض إبليس السجود لمخلوق طيني. وحين تبدأ قصة آدم في سورة طه باستباق داخلي عن نسيان آدم، فإن السرد يسير من ثم على هذا النحو ليذكر قصة نسيان آدم. وكما رأينا أيضا في قصص سورة القمر، التي تبدأ جميعها باستباق يحدد موضوع القصة، الذي كان دائما تكذيب قوم نبي من الأنبياء.

والاستباق المختلط في القصص القرآني له خصوصيته التي تتمثل في انفتاحه على المستقبل البعيد المتمثل في القيامة، كما في قصة آدم من سورة طه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) ﴾ أو كما نرى في قصة ذي القرنين من سورة الكهف: ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا

جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) ﴾.

والاسترجاع كذلك يقابلنا في القصص القرآني، ولكن بصورة أقل من الاستباق الذي يبدأ به أكثر القصص؛ فنجد الاسترجاع مثلا مختلطا باستباق العليم في قصة هود عليه السلام من سورة هود: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ﴾ وهذا الاستباق خاص بالقصة القرآنية؛ وهذا راجع أولا- لطبيعة صاحب الخطاب جل وعز عالم الغيب والشهادة؛ وثانيا- لطبيعة القصة القرآنية التي هي وسيلة رئيسية من وسائل الدعوة.

وقد لاحظنا أن القصة القرآنية، لوجودها في فضاء النص القرآني، تخضع لزمنيتين مختلفتين: زمن القصة القرآنية، وزمن النص القرآني، زمن القصة يبدأ مع الدخول الفعلي في عالمها، وزمن النص القرآني يحيط بزمن القصة، ويحتويه، ويمكن أن نعده الزمن الحاضر للسرد، أو الزمن الأول، الذي تقاس المفارقات الزمنية بالنسبة إليه؛ فالاسترجاعات تكون خارجية، حين لا تتعلق القصة المذكورة بشيء من حاضر السرد، وداخلية حين تتعلق بهذا الحاضر، كما رأينا مثلا في قصة أصحاب الجنة: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا

مُصْبِحِينَ(١٧) ﴾ أو في قصص سورة القمر: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ(٩) ﴾ وفي غيرها. والاستباقات هي الأخرى، يتحدد كونها استباقات داخلية، أو استباقات خارجية، من خلال علاقتها بالحاضر الزمني للنص.

ثالثا- من خلال دراسة الصيغة السردية في القصص القرآني، لاحظنا هيمنة صيغة المنقول المباشر، على الحكي، وهي تطبعه بطابع أمانة النقل للقول الوارد، وبهذه الصيغة ترد الوظائف المهمة في القصص: ففي قصص آدم عليه السلام، تأتي الوحدة السردية الأولى، وهي إخبار الله تعالى الملائكة بخلق آدم- دائما- في صيغة الخطاب المنقول المباشر، التي تحمل إلينا حوار الله والملائكة في هذا الشأن: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ ودائما يأتي الإخبار عن الخلق بضمير المفرد الغائب، ودائما بصيغة واحدة لا تتغير ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ في سور: ص (٧١) والحجر (٢٨) والبقرة (٣٠). يلي هذه الوحدة الوحدة الثانية " سجود الملائكة وامتناع إبليس " التي تأتي بالصيغة نفسها، ودائما بضمير الجماعة الدال على العظمة، ودائما بالصيغة الواحدة التي

لا تتغير ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ ﴾ في سور: طه (١١٦) والكهف (٥٠) والإسراء (٦١) والبقرة (٣٤) وتكتمل الوحدة بالصيغة ذاتها، لتعرض طاعة الملائكة، واستكبار إبليس، وامتناعه عن السجود، ومن ثم ذلك الحوار الطويل بينه وبين الله، الذي يأتي في صيغة المنقول المباشر، لأهميته الشديدة، لا في قصة آدم فحسب، وإنما، كما قلنا من قبل، في قصة الحياة بصفة عامة.

وفي قصص الأنبياء، نجد دائما وظيفتي الدعوة والتكذيب تأتيان بهذه الصيغة (المنقول المباشر) بعد أن يتم التحضير لهما بصيغة الخطاب المسرود. ففي الأعراف ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٦٥) ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٧٣) ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٨٥) الصيغة دائما واحدة، والدعوة أيضا واحدة. وهذا أيضا ما نجده في سورة هود، وفي سورة الشعراء ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ

رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) ﴾ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) ﴾ ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) ﴾ هذا الاتحاد في الصيغة الكلية للدعوة، بل في كلمات الدعوة، يجعلنا وكأننا أمام نبي واحد، ورسالة واحدة، وهي كذلك حقا، وما يزال قول الله تعالى لدى هبوط آدم إلى الأرض ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) ﴾ البقرة- يتردد ما دامت السماوات والأرض، وما زال الهدى يأتي من الله، فمن تبعه نجا وسلم.

رابعا- من خلال دراسة الرؤية السردية في القصص القرآني، نلاحظ هيمنة الرؤية المحايدة على الحكي، في القصص القرآني، وفي هذه التقنية، يتم تنظيم الحكي من موقع خارجي، بينما تُترك شخصيات السرد تتحدث بأصواتها دون تدخل، مما يترك انطباعا لدى المتلقي بصدق ما يتلقى، حين يجد نفسه مشاركا في الحكي بوصفه مشاهدا حاضرا ومستمعا لما يجرى من حوار. تتجلى هذه الرؤية في وظيفة

الدعوة، من قصص الأنبياء، وما يصاحبها من جدل التكذيب، حيث الحاجة إلى معرفة التفاصيل المتلبسة بالدعوة، كعلاقة الرسول بقومه، ومنهجه في دعوتهم، وهدفه منها... وكل هذا يجرى أمام عيني المتلقي من خلال الرؤية المحايدة، فيرى بموضوعية، وعليه من ثم أن يحكم بعقله على ما رأى، وأن ينحي جانبا كل حكم للهوى، أو للعادة.

ويظهر كذلك، وإن بصورة أقل، تقنية الرؤية الذاتية، التي تُلحَق دائما بنا الفاعلين الدالة على العظمة، ومن خلالها يتم حكي الأحداث الفاصلة في القصص، والتي تحتاج إلى قوة قاهرة متصرفة، كالخلق، وإرسال الرسل، وإنجاء المؤمنين، وإهلاك الكافرين... وقد رأينا مثلا في القصص الأول، حيث تبدأ قصص الأنبياء دائما مع سورة القمر، كلها بالرؤية الذاتية، تعرض نماذج لأمم كذبت قبل أمة محمد ﷺ، وكيف كان عذاب الله لهؤلاء المكذبين في الدنيا قبل الآخرة، فلتحذر أمة محمد أن تكذب هي الأخرى بالنذير، فهي أمة كالأمم التي توالى سرد ما حاق بها من عذاب. ولعرض صور العذاب من خلال الرؤية الذاتية أثره البين في النفس، فالمتكلم هو الفاعل، ولن يكلفه الأمر شيئا: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ وعاد وثمود وقوم لوط، وآل فرعون... ﴿ ففتحنا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى

الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قُدِرَ (١٢).... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠)... إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واحدة فكانوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١).... وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨)..... كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣).

يبقى بعد ذلك الرؤية الذاتية المحايدة، وهي تتخلل القصص القرآني، ومن اسمها فهي تجمع بين الرؤيتين السابقتين، مع غلبة الرؤية الذاتية فيها، وشكلها الأمثل، حيث ينقل الحق سبحانه وتعالى قوله من خلال ضمير العظمة الذي يأتي فاعلا في القصة والسرد على السواء ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ وهي قليلة وتأتي غالبا تمهيدا للرؤية المحايدة أو في أعقابها.

والرؤية المحايدة الذاتية، وهي على عكس السابقة، تغلب فيها الرؤية المحايدة، وتتمثل في نقل معنى الكلام لا نصه، كما في قوله تعالى، في قصص لوط عليه السلام من سورة الحجر ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٦٦) ﴾.

وثم ملاحظة نلفت إليها: تتمثل في تداخل الرؤيات الذي مر بنا في بعض المواضع في القصص القرآني، مثل ذلك القسم الخاص ببني إسرائيل، في قصص موسى عليه السلام، من سورتي الأعراف (١٣٨-١٦٨) وطه (٨٠- ٩٨) فلعل هذا التداخل يأتي بقصد التوجيه النفسي للمتلقي؛ مما يناسب ما يؤديه هذا القسم من عرض لانحراف بني إسرائيل وفساد طبيعتهم.

obeikandl.com

obeikandl.com

المصادر والمراجع

أولا- القرآن الكريم.

ثانيا- الكتب العربية والمترجمة:

- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٣٩.

- ابن كثير، قصص الأنبياء، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، القاهرة، دار الحديث، ١٩٨١.

- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق، على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٩٨٦.

- بيرسي لبوك، صنعة الرواية، ترجمة عبد الستار جواد، دار الرشيد للنشر، ط١، ١٩٨١.

- تزفيتان تودوروف، الأدب والدلالة، ترجمة محمد نديم خشفة، سوريا، ط١، ١٩٩٦.

obeikandl.com

- جيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة، محمد معتصم، وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧

- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء. تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، ط٢، ١٩٨١.

- روجر هينكل، قراءة الرواية، ترجمة صلاح رزق، القاهرة، ط١، ١٩٩٥.

- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ط٢، ١٩٥٧.

- زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، طبع مكتبة مصر، بدون تاريخ.

- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٨٩.

- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

obeikandl.com

- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط١١، ١٩٨٨.

- الشكلانيون الروس، نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، ١٩٨٢.

- شلوميت ريمون كنعان، التخييل القصصي، الشعرية المعاصرة، ترجمة لحسن أحمامة، دار الثقافة (الدار البيضاء) ط١، ١٩٩٥.

- صلاح فضل، أساليب السرد في الرواية العربية، القاهرة، ١٩٩٥.

بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٢.

- محمد سويرتي، النقد البنيوي والنص الروائي، الدار البيضاء، ١٩٩١.

- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٧.

- نبيلة إبراهيم سالم، نقد الرواية، من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة، النادي الأدبي، الرياض، ١٩٨٠.

obeikandl.com

- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي، في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

ثالثا- الكتب الأجنبية:

- Gérard Genette: Figures III, Paris, éd.du Seuil, coll. Poétique, 1972.

: Nouveau discours du récit, éd. du Seuil, coll.Poétique, 1983.

- Jean-Michel Adam: Le récit, Paris, Que sais-je, 1999.

- Jean Pouillon: Temps et roman, Paris, Ed. Gallimard, 1993.

- Oswald Ducrot – Jean Marie Schaeffer: Nouveau dictionnaire Encyclopédique des sciences du langage, Paris, éd. du Seuil, coll. Points, 1995.

- Roman Jakobson: Huit questions de poétique, tr. Fr. Paris, Ed. du Seuil, coll. Points, 1977 .

- Tzvetan Todorov: Qu'est-ce que le structuralisme ? tome2, Poétique, Paris, Ed. du Seuil, Coll. Points, 1968 .

- Vincent Jouve: La poétique du roman, Paris, Sedes, 1999.

- Vladimir Propp: Morphologie du conte, Traduction française, Paris, Ed.du Seuil, coll. Points, 1970.

obeikandl.com

- Yves Reuter: introduction à l'analyse du roman, Paris, Dunod, 1996.

رابعا- الدوريات العربية:

- بول بيرون، السردية، حدود المفهوم، ترجمة عبد الله إبراهيم، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد الثاني، السنة ١٢، ١٩٩٢.

- جان إيف تاديه، الشكليون الروس، ترجمة قاسم المقداد، مجلة المعرفة، سوريا، السنة ٣٠، العدد ٣٣٢، مايو ١٩٩١.

- روجر سلفرستون، في السرد (من وجهة نظر بروب وغريماس وليفي شتراوس) ترجمة كاظم سعد الدين، مجلة الثقافة الأجنبية، العدد الثاني، السنة ١٢، ١٩٩٢.

- عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردى ، مجلة فصول العدد الثانى، المجلد الثاني عشر، ١٩٩٣.

- ميشيل فوكو، البنيوية والتحليل الأدبي، ترجمة محمد الخمّاسي، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، ١٩٨٨.

obeikandl.com

- ويليام هاندي، نحو نقد شكلي للرواية، ترجمة عيسى العاكوب، مجلة شئون أدبية، السنة الثانية، العدد٦، الإمارات، ١٩٨٨.

خامسا- الدوريات الأجنبية:

- Mieke Bal: Narration et focalisation, pour une théorie des instance du récit, Poétique n°29.éd. du Seuil, Paris, 1977.

- Roland Barthes : Introduction à L'analyse structurale des récits , Communications n° 8, éd .du Seuil, coll.Points,1981 .

- Pierre Vitoux: Le jeu de la focalisation, Poétique n°51. Paris, éd. du Seuil, 1982.

- Tzvetan Todorov: Les catégories du récit Littéraire, Communications n°8, éd . Du Seuil, coll. Points, 1981.

obeikandi.com